



دَعْوَةُ الْحَقِّ

رابطة العالم الإسلامي
الإدارة العامة للإعلام والثقافة
إدارة الثقافة والنشر

العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم

«المنهج والأركان والخصائص»

د. عثمان جمعة ضميرية

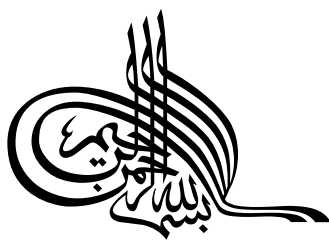
رابطة العالم الإسلامي
الإدارة العامة للإعلام والثقافة
إدارة الثقافة والنشر
سلسلة دعوة الحق كتاب شهري محكم

العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم (المنهج والأركان والخصائص)

بقلم:

د. عثمان جمعة ضميرية

الأستاذ المشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ
بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ۖ وَكُتُبِهِ ۖ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ
وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾
سورة البقرة: الآية (٢٨٥).

قال رسول الله - ﷺ - في حديث جبريل لما سأله عن الإيمان:
«أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،
وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ».
(أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ له).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فإن الدين الإسلامي - بما أنه منهج إلهي للبشر ينبغي أن
يصرّف حياة الناس وينظّمها - يشمل جانبين اثنين، تتفرع
عنهما سائر الجوانب الأخرى وتعود إليهما.

(الجانب الأول): الأصول العقديّة، أو الأساس النظري
للدين، الذي يشكّل القاعدة الأساس في بنائه، ومنه ينطلق
المؤمن، ويضبط كلّ حركته بضوابطه، ويوجّه كلّ سلوكه
وأعماله، ويفسّر للإنسان طبيعة وجوده، ونشأته وغايته،
ويعرّفه بمهمته في الحياة، ويحدّد مصيره الذي ينتهي إليه في
الآخرة، ويرسم له معالم صلته بالله تعالى، وصلته بالحياة
والأحياء والكون من حوله.

وهذا الجانب هو العقيدة التي تقوم على أصولٍ نسمّيها:
أصول الإيمان وأركانه، كما جاءت في حديث جبريل عليه السلام عن
الإسلام والإيمان والإحسان... مما يجب أن يعتقده المؤمن
ويصدّق به. وتسمى الأحكام المتعلقة بهذه النواحي: أحكاماً
أصليّة واعتقاديّة.

والعلمُ المتعلّق بهذا الجانب يسمّى «علم العقيدة» أو «علم الإيمان» أو «أصول الدين» أو «علم التوحيد والصفات»، لأن ذلك أشهر مباحثه وأشرف مقاصده، وفي بعض المراحل سمّاه بعضهم «علم الكلام».

و(الجانب الثاني): هو النظام الذي ينبثق عن هذه الأصول العقديّة ويقوم عليها، ويجعل لها صورةً واقعيةً متمثلةً في حياة البشر الواقعيّة، ولذا فهو يحدّد للمكلفين حدوداً في أقوالهم وأفعالهم — كما يقول الإمام الشاطبي رحمه الله^(١) — فيبيّن كيفية عمل المكلف وفعله والإتيان به على الوجه الذي أمر به الشرع، في الشعائر التعبديّة والنظام الاجتماعي ونظام الأسرة، والنظام الاقتصادي، والنظام السياسي، وفي قواعد الأخلاق والسلوك والتربية والمعاملات الأدبية، والمالية، وكل ما من شأنه تنظيم حياة الناس وارتباطاتهم وعلاقاتهم... وتسمى الأحكام المتعلقة بهذه الجوانب كلها: أحكاماً فرعيّة أو عمليّة.

والعلم المتعلّق بهذا الجانب يسمى «علم الفروع» أو «فروع الدين» أو «علم الفقه» أو «علم الشرائع

(١) يقول رحمه الله: ((إن معنى الشريعة أنها تحدّد للمكلفين حدوداً في أفعالهم وأقوالهم واعتقاداتهم، وهو جملة ما تضمّنته)). انظر كتابه: ((الموافقات في أصول الشريعة)): ٨٨/١.

والأحكام»؛ لأنها لا تستفاد إلا من جهة الشرع، ولا يسبق الفهم عند الإطلاق إلا إليها^(١).

أهمية البحث في العقيدة:

وإذا كانت العقيدة هي أصل البناء وأساسه، فإنَّ الشريعة تنبثق عن هذا الأصل وتقوم عليه، بحيث يكون كلُّ حكم من أحكام السلوك الإنساني في أي جانب من جوانب الحياة متفرعاً عن أصل من أصول العقيدة والإيمان، ومرتبطاً به، فلا قيمة ولا استقرار لشريعة أو نظام لا يستند على أساس متين، كما أنه لا جدوى من أساسٍ ما لم نرفع فوقه بناءً قوياً مُحْكَمًا .

ولهذا: فإن هذه الأحكام عُرِضَتْ من خلال العقيدة، وفي سياق ما يتصل بها من شُعَبِ الإيمان ومستلزمات الطاعة والعبادة، حتى في أشد المسائل التصاقاً بالبُعد المادي عند الإنسان أو نزعتة الحسية، كاللباس والطعام والشراب والتناسل... مما يظهر أثره في حياة الإنسان وسلوكه، ويدخل في ثقافته في نهاية المطاف.

(١) انظر: «مقدمة ابن خلدون»: ٧٨٠/٢، و«شرح العقائد النسفية» للفتازاني،

ص (١٢ - ١٥)، و«لوامع الأنوار البهية» للسفاري: ٤/١، و«أصول البزدوي مع شرحه كشف الأسرار» للبخاري: ٧/١ - ١٣، و«الإسلام عقيدة وشريعة»، للشيخ محمود شلتوت، ص (٩ - ١٠)، و«نظام الإسلام - العقيدة والعبادة» للأستاذ محمد المبارك، ص (٢١ - ٢٣).

وغنيَّ عن البيان - بعد هذا - أن نذكّر أن أحكام الشريعة التي وردت في القرآن الكريم جاءت على هذا النحو مرتبطة بالإيمان بالله واليوم الآخر، ومؤسّسة على التقوى وعلى العلم بصفات الله عز وجل، وأنّه عليهم حكيم، وسميع بصير، وحكيم خبير... الخ.

كما قامت على التذكير الدائب بعقد الإيمان الذي يعقده الإنسان مع ربّه عزّ وجلّ، منذ أن يدخل الإسلام ويرضى بحكم الله تعالى، سواء كان هذا التذكير بطريق مباشر، كقوله تعالى - في أوائل سورة المائدة - بعد بيان حكم الله تعالى في العقود والصيد والطعام والزواج، وبعد الأمر بالوضوء والطهارة: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاتَّكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١).

أو كان هذا التذكير بطريق غير مباشر، مثل جميع آيات التكليف التي جاءت مصدّرة بهذا النداء الرباني: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، أو ربطت بالإيمان بوجه من الوجوه (٢).

(١) سورة المائدة، من الآية: ٧.

(٢) عن ((دراسات في الفكر الإسلامي))، للدكتور عدنان محمد زرزور، ص (٥٣، ٥٤).

وهذا كله يشير إلى أهمية دراسة العقيدة الإسلامية والعناية بها والرجوع في مقرراتها إلى المصدر الصحيح الموثوق المعصوم الذي لا تشوبه شائبة، وهو القرآن الكريم.

وتظهر هذه الأهمية أيضاً: من خلال معرفة آثارها في تكوين المجتمع المسلم النظيف الذي يخطو بخطوات سليمة متدرجة يقودها الوحي، ليقيمه مثلاً ومانراً للبشرية كلها، وذلك أن الإسلام يبدأ بإصلاح الفرد أولاً، حيث يغرس فيه الإيمان، ويربّي فيه الخلق والسلوك، ويهذب النفس ويزكّيها، ثم ينطلق إلى دائرة أوسع هي دائرة البيت والأسرة، فيقيم دعائمها على أسس قويّة متينة من الدين والتقوى والمراقبة، فيؤثر ذلك كله في بناء المجتمع الكبير الذي ينشده الإسلام، ثم يؤثر في الدولة التي تقود هذا المجتمع وتقوم على مصالحه الدينية والدينية، حيث ترفرف راية التوحيد، ويستظل الجميع بظلّها الوارف، فيشعرون بالأمن والأمان والطمأنينة والسعادة والاستقامة.

كما أن العقيدة تفسّر لهذا الإنسان أصل وجوده، وطبيعة تكوينه المتكامل روحاً وعقلاً وجسداً، ثم تعطيه المعرفة الصحيحة بالغاية والهدف من وجوده، وتحدّد مصيره في نهاية الرحلة، وتبين له طبيعة العلاقة بالله تعالى خالقه ومعبوده، وبالكون الذي يعيش فيه، وبالحياة والأحياء من حوله في هذا الوجود.

ويزكّي هذه الأهمية أيضاً: أن بعض العلماء في مرحلة من مراحل تدوين علم العقيدة والإيمان، انصرفت عنايتهم إلى

الجدل والردُّ على المخالفين بأسلوب ومنهج يتفق مع منهج أولئك المخالفين، فتأثروا بالمنهج الفلسفي الإغريقي.

وكان لترجمة كتب الفلسفة اليونانية والرومانية وإقبال بعض المسلمين عليها قراءة ودرساً وشرحاً، أثر في بعض المسلمين الذين فُتِنُوا بها فحاولوا التفلسف في ضوئها وتأثروا بها منهجاً وموضوعاً حين راحوا يفسِّرون تعاليم الإسلام في ضوء هذه الفلسفة، وحاولوا التوفيق بينها وبين الإسلام، وفسَّروا القرآن على ضوء الفكر اليوناني - على حدِّ تعبير العلامة المفكّر محمد إقبال رحمه الله - ومع أن هذه الفلسفة وسَّعت آفاق النظر العقلي عند مفكري الإسلام فإنها غشَّت على أبصارهم في فهم القرآن^(١).

علاوة على أننا قد نقرأ كتاباً كاملاً في العقيدة الإسلامية، فلا نجد فيه آية كريمة أو حديثاً شريفاً، بحجة أن النصوص القرآنية والنبوية لا تفيد القطع واليقين، بينما نجد أقوال الفلاسفة والمتكلمين لها القُدح المعلن والمكانة التي لا تدانيها مكانة!

لهذه الأسباب التي تشير إلى أهمية البحث، كان لا بدَّ من إعادة الأمر إلى نصابه بالعودة إلى المصادر الصحيحة الموثوقة، أعني القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، في دراسة أصل

(١) «تجديد الفكر الديني في الإسلام» تأليف محمد إقبال، ترجمة عباس

محمود، ص (٨، ٩).

الدين وهو العقيدة والإيمان، وهو الفقه الأكبر على لسان فقهاءنا من السلف -رحمهم الله تعالى-.

منهج البحث وطريقته:

هذا، وسأعالج البحث - إن شاء الله تعالى - بطريقة علمية، تنهج منهجاً وصفيّاً استقرائياً، وستكون النصوص الشرعية محل العناية والاهتمام، دون أن نحملها ما لا تحمل من المعاني والتأويلات البعيدة، مع الالتزام بالأحاديث التي تصلح للحجية والاستدلال. وغنيٌّ عن البيان أن أقوال العلماء لها دورها في عملية الفهم والاستنباط، ولكنها لن تكون حاکمة على النص، وإنما يحكمها النصُّ، فيكون النص متبوعاً وتكون هي التابعة من ورائه.

وأما أسلوبه وطريقته فلن تكون بمنأى عن مستوى عامة المثقفين والدارسين الذين يبتغون معرفة أصول العقيدة ومنهجها وأصولها، دون أن يكون ذلك إخلالاً بالمنهج العلمي الذي ينتهجه، فهو يوائم - إن شاء الله تعالى - بين السهولة واليسر في العبارة والالتزام بالأسلوب الذي يتفق مع طبيعة هذه البحوث وسلامتها موضوعاً وشكلاً.

خطة البحث:

وسياتي هذا البحث-إن شاء الله تعالى- في تمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

يتناول التمهيد مصدر العقيدة، وهو الوحي (القرآن الكريم والسنة النبوية)، مع إقامة الدليل الشرعي والعقلي على صحة هذا المنهج وأولويته.

ويتناول المبحث الأول منهج القرآن الكريم في بناء العقيدة وبيانها وتثبيتها في النفوس.

بينما يتناول المبحث الثاني أركان العقيدة أو أصولها وركائزها التي تقوم عليها كما جاءت في النصوص الكريمة. ويتناول المبحث الثالث خصائص العقيدة في القرآن الكريم وميزاتها التي تميزها عن العقائد والأيدولوجيات الأخرى.

ثم نغلق البحث بخاتمة وتوصية.

وأسأل الله تعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العظمى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، موافقاً لشرعه، متقبلاً عنده. وهو -سبحانه- الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الطائف في ١٥ / ٨ / ١٤٣١ هـ

التمهيد

يتعرّف الإنسان على الموجودات من حوله ، ويحكم عليها، ويعلمها علماً يقينياً أو ظنياً، بطرق وأسباب؛ قد تكون من داخل نفس الإنسان، وقد تكون من خارجها؛ فإذا كانت من خارج النفس: فهي الخبر الصادق بدلالته على ما يخبر عنه، وإن كانت من داخل النفس: فهي الحواس الظاهرة و الباطنة، والنظر العقلي المتدبر بحدوده وضوابطه.

وكذلك فطر الله تعالى الإنسان على معرفة أمور كثيرة يحتاج إليها في حياته، ومن أعظم هذه الأمور: المعرفة الفطرية المغروزة في نفسه عن الله تعالى و وحدانيته وقدرته، كما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

وإذا كانت الحواس هي وسيلتنا للتعرف على عالم الشهادة أو الطبيعة (الآفاق والأنفس)، وكذلك العقل وسيلة ثانية؛ فإن كلاً منهما لا يستطيع أن يعمل في مجال عالم الغيب - والإيمان به من أركان العقيدة الإسلامية - ولذلك فإن المصدر الذي نستقي منه العقيدة الإسلامية، ينبغي أن يكون مصدراً صحيحاً ثابتاً وموثوقاً، لا يخطئ ولا ينحرف.

وإذا كان العقل البشري محدوداً وقاصراً فإن الفطرة - وهي طريق صحيح ومصدر معتبر في ذلك - قد يطرأ عليها ما يغشيها ويحرفها عن صوابها ، فنحتاج إلى ما يجلوها ويصح مسارها ويمنعها من الانحراف، وذلك هو الوحي (القرآن والسنة) الذي تكفل الله تعالى بإنزاله هداية للناس ورحمة بهم.

مصدر العقيدة:

وفي هذا التمهيد من البحث نعرض لمصادر العقيدة الإسلامية وهي القرآن الكريم (وهو الوحي المتلّو) والسنة النبوية المطهرة (وهي الوحي غير المتلّو)

أولاً- القرآن الكريم:

فالقرآن الكريم هو كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور البصائر والأبصار، فلا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه. وهذا كله معلوم من الدين علماً ضرورياً، لا يحتاج إلى استدلال عليه^(١).

وقد أوفى القرآن الكريم على الغاية في بيان العقيدة وتصحيحها في النفوس، على أتم وجه وأكملها، وبخاصة في السور المكية، إجمالاً وتفصيلاً. وكان أول ما أنزل وحياً على رسول الله ﷺ، هو صَدْرُ سورة العلق:

(١) انظر: ((الموافقات في أصول الشريعة)) للإمام الشاطبي: ٣ / ٣٤٧.

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾ وهي تتضمن أصول الدين والعقيدة من الأدلة العقلية والفطرية والشرعية على وجود الله تعالى وتوحيده، وصدق الرسول ﷺ، وإثبات البعث.

وفي سائر سور القرآن الكريم، نجد السورة الواحدة تجمع أركان العقيدة بأصول عامة تبين أركان الإيمان — وأعظمها الإيمان بالله تعالى — وما يتفرع عن هذه الأركان وينضم إليها، أو يكون من مقتضياتها ومستلزماتها، وتضع — كذلك — الإجابة الصحيحة الحاسمة على الأسئلة التي تفسر للإنسان أصل وجوده ونشأته، وغايته التي يسعى إليها، والمصير الذي ينتهي إليه بعد رحلته في هذه الحياة، وتحدد علاقته بالله تعالى وبالكون وبالحياة والأحياء من حوله^(١).

ثانياً. السنة النبوية:

وإذا كان القرآن الكريم هو مصدر الدين، عقيدةً وعبادةً وشرعيةً، فإن السنة النبوية المطهرة مثل القرآن الكريم في ذلك، لأنها وحيٌّ من الله تعالى؛ فقد وصف — سبحانه — ما يصدر

(١) يقول الإمام أبو إسحاق الشاطبي في الموضع السابق من ((الموافقات في أصول الشريعة)): ((وغالب السور المكية تقرر ثلاثة معانٍ، أصلها واحد وهو الدعاء إلى عبادة الله وتوحيده: أحدها: تقرير الوجدانية لله الحق، والثاني: تقرير النبوة للنبي محمد ﷺ، والثالث: إثبات أمر البعث والآخرة. وما ظهر ببادي الرأي خروجه عنها، فراجع إليها في محصول الأمر)).

عن نبيه — ﷺ — بأنه وحي، فقال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٢)
 إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿١﴾.

وعن حسان بن عطية، قال: «كان جبريل عليه السلام ينزل على النبي ﷺ بالسنة فيعلمه إياها كما يعلمه القرآن» (٢).
 وقد بين الرسول — ﷺ — أصول الدين والعقيدة أحسن بيان، ودلّ الناس وهداهم إلى الأدلة العقلية والبراهين اليقينية التي بها يعلمون المطالب الإلهية، و بها يعلمون إثبات ربوبية الله، و وحدانيته و صفاته، و غير ذلك مما يحتاج إلى معرفته بالأدلة العقلية.

بل وما يمكن بيانه بالأدلة العقلية — وإن كان لا يُحتاج إليها، فإن كثيراً من الأمور يعرف بالخبر الصادق — ومع هذا فإن الرسول بين الأدلة العقلية الدالة عليها، فجمع في ذلك بين الطريقتين: السمعي (الشرعي) والعقلي (٣).

هذا، وينبغي التأكيد هنا على أن السنة هي الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، ويندرج فيها الأحاديث

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤.

(٢) أخرجه الدارمي: ١/١٤٥، و اللالكائي في «أصول الاعتقاد»: ١/٨٤، وابن بطة في «الإبانة»: ١/٢٥٥، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» ص (٥٦٣)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه»: ١/٩٩. وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: ١٣/٢٩١: «أخرجه البيهقي بسند صحيح».

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٩/١٥٩، ١٦٠، وانظر: «أحكام القرآن» للجصاص: ١/٣٥، ٣٦، «مدارج السالكين» لابن القيم ٣/٤٩٢.

الحسنة التي لم تبلغ رتبة الصحيح، ولذلك ينبغي التوثق والتثبت من صحة الحديث وقبوله عند الاستشهاد به والاحتجاج في قضايا الاعتقاد؛ فإن العقيدة لا تبنى على الأحاديث الضعيفة.

وقد يكون هذا الحديث الصحيح متواتراً قطعياً الثبوت، وقد يكون حديثاً مشهوراً مستفيضاً يأخذ حكم المتواتر، وقد يكون حديث آحاد. وكلها في أصل الاحتجاج بها سواء عند صحتها، ينبغي الخضوع لها وقبولها على الرأس والعين، دون تمحل ولا تكلف، ودون التماس الأعذار لردّها وعدم العمل بها، فإن «جميع ما صحَّح عن رسول الله من الشرع والبيان كله حق»^(١).

وإنما ينبغي — بعد ذلك — النظر في المنهج الصحيح للفهم والاستدلال وإعمال قواعد الاستنباط وضوابط الترجيح عند التعارض مثلاً.

وأما الأحاديث الضعيفة والموضوعة المكذوبة على النبي ﷺ، فلا يجوز الاحتجاج بها، بل ولا تجوز روايتها أصلاً إلا لبيان حالها، وإنما ينبغي الإعراض عنها؛ لأن العقيدة لا تثبت بالأحاديث الضعيفة فضلاً عن الموضوعة. وإن من أعظم أسباب الضلال والانحراف عن السنة والعقيدة الصحيحة:

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» ص (٣٥٤ - ٣٥٧).

الاحتجاج بالأحاديث والأخبار الضعيفة والمكذوبة وبناء الاعتقاد عليها، وبخاصة فيما يتعلق بمباحث الإلهية والصفات ونحوها^(١).

الأدلة على صحة هذا المنهج:

وقد قامت الأدلة الشرعية (من الكتاب والسنة) والأدلة العقلية على صحة هذا المنهج في مصدرية العقيدة، وعليه أجمع الصحابة وسلف الأمة، كما أيّدته التجربة والواقع:

فأولاً: نطق بذلك القرآن الكريم، في آيات كثيرة تدل على ذلك، فقال تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢).

فإذا أكمل الله تعالى الدين وأتمّ به النعمة، فإن هذا يقتضي أن لا يترك جانباً من جوانب العقيدة أو مسألة من مسائلها دون أن يأتي عليها بالبيان.

وقد وصف الله تعالى الكتاب بأنه تبيان لكل شيء فقال:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(٣).

(١) انظر: «الوصية الكبرى» لابن تيمية ص (٧٠ - ٨٣).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٣) سورة النحل، الآية: ٨٩.

وإذا كانت العقيدة من أهم ما ينبغي بيانه ومعرفته؛ فلا بد من أن تكون آيات الله تعالى مُبَيِّنَةً لهذا أوضح بيان، إذ لا يقبل العقل أن تبين لنا هذه الآيات أحكام الفروع ثم تترك الأصول الاعتقادية التي هي أساس لتلك الفروع.

ولذلك أوجب الله تعالى على المسلمين اتباع الرسول فيما يأمر وينهى^(١)، وقرن طاعة الرسول بطاعته — سبحانه — في آيات كثيرة من القرآن فقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٢).

وحث على الاستجابة لما يدعو إليه من الحياة الكريمة التي تتمثل في الاعتقاد الصحيح وفي التمسك بالدين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(٣).

ثانياً: تواردت أحاديث النبي ﷺ، تقيم الأدلة على صحة هذا المنهج في العودة للقرآن والتمسك بما ثبت عنه، فقال عليه الصلاة والسلام؛ فيما رواه علي رضي الله عنه، قال: إني

(١) انظر: «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» لابن بطة العكبري: ٢١٥/١ -

٢٢٢، و«مجموع فتاوى شيخ الإسلام»: ٨٢/١٩ - ٩٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٢.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنها ستكون فتنة. فقلت: وما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن — إذ سمعته — حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: ١-٢]، من قال به صدق، ومن عمل به أُجِرَ، ومن حَكَمَ به عدل، ومن دعا إليه هُديَ إلى صراط مستقيم»^(١).

(١) أخرجه الترمذي: ٢١٨/٨ - ٢٢١، والدارمي: ٤٣٥/٢، والإمام أحمد: ٨٨/٢ (تحقيق الشيخ شاكر)، والبغوي في «التفسير»: ٣٩/١ وفي «شرح السنة»: ٤٣٨/٤، وعزاه الهيثمي في «المجمع» (١٦٥/٧) للطبراني مختصراً. وفيه عمرو بن واقد، وهو متروك. وقال الترمذي: «حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات واسناده مجهول» وقال ابن كثير في «فضائل القرآن» الملحق بالتفسير (٥٨٢/٤): «.. وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح، على أنه قد روي له شاهد». وقال ابن الوزير في «ترجيح أساليب القرآن» ص (١٥): «وقد رواه السيد الإمام أبو طالب في «أمالیه» بسند آخر من حديث معاذ بنحوه.. ولم يزل العلماء يتداولونه، فهو مع شهرته في شرط أهل الحديث متلقى بالقبول عند علماء الأصول، فصار صحيح المعنى في مقتضى الإجماع والمنقول والمعقول».

ولذلك قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: تضمّن الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضلّ في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة. ثم قرأ: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ ^(١) [طه: ١٢٣]. وتواترت الأحاديث النبوية توجب العمل بالسنة والتمسك بها، وتبين أنها سبب النجاة، بما يدل دلالة قاطعة على أن المنهج الصحيح في استلهاام العقيدة - مع سائر الأحكام - إنما يكون بالعودة إلى الصادق المصدوق، المبلّغ عن ربه - تبارك وتعالى -.

وعن أبي هريرة، - رضي الله عنه -، أن رسول الله ﷺ قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني،..» ^(٢).

ثالثاً: وعلى هذا المنهج سار الصحابة - رضوان الله عليهم - فكانوا يتلقّون من النبي - ﷺ - ما أوحاه الله تعالى إليه: قرآنًا ناطقًا وسُنّة حادثة عن النبي - ﷺ - فيتعرفون - بذلك - على وحدانية الله تعالى، وعلى صفاته، وعلى نبوته - عليه الصلاة والسلام -، وعلى المبدأ والمعاد، وكل ما يتصل بأمور العقيدة بخاصة والدين كله بعامة.

(١) «تفسير الطبري»: ٢٢٥/١٦.

(٢) أخرجه البخاري باب في كتاب برقم: ١١/٦، ومسلم باب في كتاب برقم: ١٤٦٦/٣.

فلم يكن عندهم ما يستدلُّون به على ذلك سوى كتاب الله تعالى، يتلقَّونه بالتسليم، يفهمون معناه، ويلتزمون بما فيه، لا يتنازعون في شيء من ذلك، ولا يتعمقون في البحث الذي لا طائل تحته، وكانوا يرون الجدل في أمور العقيدة مؤدياً إلى الانسلاخ من الدين. فلذلك أجمعت كلمتهم على أنَّ القرآن فيه كلُّ الغناء وفيه علم الأولين والآخرين^(١).

رابعاً: وعلى هذا أيضاً أجمعت كلمة علماء الإسلام — بعد عصر الصحابة — من جميع الطوائف، فإن القرآن عندهم يفيد معرفة أدلة التوحيد من غير ظن ولا تقليد، ومنه تعلَّم المتكلمون (علماء الكلام) النظر والأدلة، ولكنهم غالوا في النظر، ولم يقتصروا على القدر النافع المذكور في كتاب الله تعالى.

ولئن كانت أدلة المتكلمين والفلاسفة مقصورة الفائدة على طائفة من الناس الذين يتأثرون بالدليل العقلي المجرد؛ فإن أدلة الكتاب والسنة أدلة قاطعة جليَّة، تسبق إلى الأفهام ببادي الرأي وأول النظر، ويشترك كافة الخلق في إدراكها وفهمها. وهي بذلك مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان، بل كالماء الذي ينتفع به الصبي، والرضيع، والرجل القوي. ولهذا كانت أدلة القرآن سائغة جلية.

(١) انظر: «الخطط المقرية»: ٩٠٩/٣، ٩١٠، و«تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية» للشيخ مصطفى عبد الرازق ص (٢٦٩).

ألا ترى أن من قدر على ابتداء الخلق فهو على الإعادة أقدر؟ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] وأن التدبير لا ينتظم في دار واحدة بمديرين، فكيف ينتظم جميع العالم؟ وأن مَنْ خَلَقَ أَعْلَمَ بِمَا خَلَقَ، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

فهذه أدلة تجري مجرى الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي، ينتفع به الجميع ببسر وسهولة، فتؤدي إلى معرفة وقناعة، يتولد عنها إيمان صادق يحمل على الالتزام والطاعة^(١).

خامساً: التجربة والواقع العملي: فإذا تجاوزنا الدليل الشرعي والإجماع، وجدنا التجربة والواقع العملي شاهدين عدلين على صحة المنهج الذي سلف، في العودة إلى القرآن والسنة لنستمدَّ منهما أصول العقيدة؛ إذ لا أحد من العلماء لجأ إلى القرآن الكريم وإلى السنة النبوية في مسألة إلا وجد لها فيها أصلاً يعتمد عليه^(٢)، ولذلك كان فيهما الكفاية والغناء والهداية والشفاء.

ولا أدل على صحة هذا القول من واقع أولئك الذين حاولوا أن يتلمسوا الأدلة العقلية على صحة الاعتقاد، فأطلقوا العنان لعقولهم في البحث والتفكير، بمغزل عن الوحي،

(١) «ترجيح أساليب القرآن» لابن الوزير، ص (١٥، ١٦، ٢٢).

(٢) «الموافقات»: ٣/ ٣٧١، «مقومات التصور الإسلامي» ص (٨٦).

متأثرين في ذلك بمنطق اليونان وفلسفتهم، ولكنهم عادوا بالخبية والخسران، بعد أن بذدوا جهدهم، وأضاعوا في البحث عمرهم، ثم وقفوا حائرين، لا يجدون دلالة إلا في كتاب الله الكريم، وفي سنة نبيه العظيم ﷺ.

وتجد أمثلة على ذلك في تجربة إمام الحرمين الجويني (توفي ٤٧٨هـ) وهو الأصولي الجدلي النظّار، وفي تجربة الفيلسوف القاضي أبي الوليد محمد بن رشد (٥٢٠ هـ)، وإمام المتكلمين الفخر الرازي (٦٠٤ هـ) وغيرهم من الفلاسفة والمتكلمين^(١).

ولهذا وجدنا العلامة محمد بن إبراهيم الوزير، رحمه الله، يضع كتاباً قائماً برأسه في منهج القرآن في بيان العقيدة، ويوازن ذلك بمناهج المنطق اليوناني بما فيه من جفاف وتعقيد وتخليط، وسماه «ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان»، ولشيخ الإسلام ابن تيمية كتاب كامل في نقض المنطق اليوناني بعنوان «الردُّ على المنطقيين»، وله أيضاً «نقض المنطق»^(٢).

(١) انظر أقوالهم في: «طبقات الشافعية» لابن السبكي: ١٨٥/٥ و ٩٠/٨ - ٩١، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي: ٤٧١/١٨، و «المنقذ من الضلال» للغزالي ص (١٨)، و«تهافت التهافت» لابن رشد: ٥٤٧/٢، و«شرح العقيدة الطحاوية» ص (٢٠٨ - ٢٠٩)، و«إيثار الحق على الخلق» لابن الوزير، ص (١٣٩ - ١٤٠).

(٢) وانظر بالتفصيل: «مناهج البحث عند مفكري الإسلام» ص (٦٣) - (٢٢٨) ففيه تفصيل لموقف الأصوليين والفقهاء من المنطق اليوناني (دون تزكية لكل ما في الكتاب وخاصة مقدمة الطبعة الرابعة).

إنَّ اللهَ - سبحانه وتعالى - هو الذي خلق هذا الإنسان، وهو أعلم بمن خلق، وهو الذي يعلم الطريقة الصحيحة في بيان حقائق العقيدة وأصولها، وبيان الحقائق الكبرى في هذا الوجود الذي يتعامل معه الإنسان ، لذا نرى القرآن الكريم ينهج نهجاً خاصاً متميزاً في مخاطبة الإنسان بجميع مكوناته، وبيان أصول العقيدة الإسلامية.

وسننظر في المنهج الذي سلكه القرآن الكريم في بيان العقيدة الإسلامية وغرسها في النفوس أولاً، وتثبيتها في القلوب بعد غرسها ثانياً، ليكون لها أثرها في السلوك.

ونعرض وسائل هذا المنهج ومساكنه أولاً، ثم نُلمَحُ إلى أهم الخصائص التي تختص بها العقيدة، بما يتفق مع طبيعة هذا البحث الموجز.



المبحث الأول

المنهج القرآني في بناء العقيدة

إنَّ القرآن دعوةٌ للناس جميعاً على اختلاف حظوظهم من العقل والقدرة على التفكير؛ لذا كان منه ما يتَّجه للقلب ليتفتَّح للموعظة؛ وكان منه ما يتَّجه للعقل ليدعن للمنطق والدليل. وكان منه - بجانب هذا وذاك - ما يشتمل على الحقيقة سافرةً يفهمها الجميع؛ وكان منه ما يجيء في شكل أمثالٍ ((ما يعقلها إلا العالمون)).. وهذا ((لأن الأمثال والتشبيهات هي الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأستار))^(١). من أجل هذا كله كان القرآن حريّاً أن يصل إلى ما أراد من الهداية وتبين الحق من الباطل فيما كان الناس فيه من أمر مريج قبل نزول ما يتصل بالله والعالم والإنسان.

والقرآن نزل بين العرب وبلغه العرب بعد فترة من نزول التوراة والإنجيل، فترة اختلط فيها الباطل بالحق، ودخل على مرّ الزمان فيما أوحاه الله من قبل من الدين الصحيح ما ليس منه. وبسبب هذا ابتعد العالم كثيراً عن العقيدة الصحيحة.. فكان لا بد إذاً من أن يتجه القرآن لتصحيح العقيدة قبل كل

(١) انظر: ((الكشاف)) للزمخشري ١٩١/٣.

شيء، ولبيان الحق فيما كان عليه الناس في بلاد العرب التي كان يتمثل فيها الديانات والملل المختلفة العديدة.. حقيقة _ فضلاً عما كان من العرب اليهود في المدينة التي هاجر إليها الرسول ﷺ فيما بعد، والنصارى في اليمن، كان من العرب أيضاً الوثنيون الذين وإن كانوا جميعاً عبدة أوثان وأصنام كانوا مع هذه يختلفون فيما بينهم في اعتقاداتهم الدينية، كما كان من العرب أخيراً نفرٌ قليل من الموحدّين الذين وصلوا إلى إدراك طرفٍ من الحقيقة بتفكيرهم^(١).

وعلى هذا يمكن أن نلمح منهجاً متكاملًا لبيان العقيدة، ونفصّله في المطالب الخمسة الآتية:

المطلب الأول

المنهج الفطري أو الوجداني

يقرّر القرآن الكريم حقيقةً كبيرة، وهي أنّ الإنسان قد خلّقه الله تعالى على فطرة سليمة تتجه إلى بارئها وتلجأ إليه، فقد جُبِلَت النفوس على معرفة خالقها تعالى، منذ أن أخذ الله تعالى العهد والميثاق على أبناء آدم، حيث قال تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ

(١) انظر: ((نشأة الفكر الفلسفي))، د. علي سامي النشار ١ / ٣١ - ٣٤.

عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ
إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١﴾

وكل مولود في هذا الوجود يولد على الفطرة، فطرة الله التي فطر الناس عليها ولذلك يخاطب الله تعالى الإنسان ويذكره بهذه الفطرة بأسلوب عاطفي حي، ليوثق إحساسه بالأمور الإيمانية والعقيدة، وأهمها توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة وما يتفرع عن ذلك من قضايا الاعتقاد، وليرى عن هذه الفطرة ما قد يغشاها أو يحرفها عن طريقها السوي من مؤثرات أسرية أو اجتماعية، أو من عادات وتقاليد وأوهام وخرافات، أو من غواية وشهوات ومصالح مادية تهبط بالإنسان وتنحرف به عن الجادة من الطريق. خلقت عبادي حنفاء فاجتالهم الشياطين.

يقول الأستاذ محمد المبارك: ((فالقرآن يخاطب الإنسان ويثيره عن طريق منفعه ومصالحه وحاجاته وملذاته.. وعن طريق قضايا ومشكلاته، ليحرك تطلعه وقلقه إلى معرفة الحقيقة ذات الصلة بحياته الحاضرة ومصيره البعيد، ويجعله بذلك متهيئاً للتفكير في الله ومستعداً لقبول نتائج المنطق السليم مع منفعتة)) (٢).

(١) سورة الأعراف الآية (١٧٢).

(٢) انظر العقيدة في القرآن، محمد المبارك ص ٨١.

وليس الوجدان هو الإحساس أو صفةً من صفاته...
ولكنّه وعاء الشعور بما ينشأ عن إدراك المعاني.

والقرآن الكريم يثير الوجدان بطريقته الجميلة المعجزة،
ويزيل الغشاوة التي ترين على القلب وتجعل الحسّ يتبلّد،
ويُعرض آيات الله في الكون في صورة حيّة يفعل بها الوجدان
كأنها جديدة يشهدها الإنسان لأول مرة.. وحين يفعل بها
الوجدان ويتأثر، ويتحرك الخيال لتتبع المشهد المعروض
وتتحرك المشاعر بشتى الانفعالات، عندئذ يوجّهه إلى أن وراء
هذه المشاهد كلّها قدرة الله المعجزة، وأن صانعها وبارئها هو
الله سبحانه وتعالى؛ فينبغي إذن عبادة ذلك الإله القادر،
والتوجّه إليه وحده بالعبادة دون سواه؛ والتلقّي عنه في كل أمر
من الأمور.

مجالات المنهج الفطري:

بهذه الطريقة الوجدانية الحية يتحدّث القرآن الكريم عن
الكون بضخامته ودقّته المعجزة؛ وعن ظاهرة الموت والحياة،
وعن إجراء الرزق، وإجراء الأحداث، وقدرة الله التي لا تُحدّ،
وعن علم الله الشامل للغيب؛ كلّ ذلك بطريقة فذة تجعل
الإنسان يستقبل هذه الأمور كلّها كأنّه يراها ويلاحظها لأول
مرة؛ فيفعل بها وجدانه ويستيقظ لحقيقة الربوبية والألوهية.

أ- ففي آيات الله الكونية:

يعرض لنا القرآن الكريم جانباً منها بطريقة تصويرية أخاذة؛ ويرسم لها صورة شاملة متكاملة، ويطوف بنا في مجالات رحبة كثيرة، ثم يخلص إلى النتيجة والتوجيه والقناعة الوجدانية، كما في قوله سبحانه وتعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالتَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾

ب- وفي ظاهرة الحياة والموت:

يتحدث القرآن الكريم كثيراً عن أصل الحياة وظهورها، وعن ظاهرة الموت بعد الحياة؛ ليهزَّ الوجدان بهذه الظاهرة المعجزة التي كثيراً ما يمرُّ الإنسان بها دون أن يلتفت إليها؛ أو دون أن يعطيها حقها من الاهتمام؛ مع أنها جديرة أن تبعث في نفسه هذا التساؤل: من الذي خلق الحياة في هذه الخلية الحيّة؟.. وعندما تموت هذه الخلية: من الذي سلبها هذه الحياة؟ ولماذا لا تستمرُّ هذه الحياة؟.... إلخ.

(١) سورة النحل، الآيتان: (١٠ - ١١).

هنا يجيء جواب الفطرة ومنهج الفطرة في القرآن؛ يزيل الغشاوة عن النفوس؛ ويتحدث عن الموت والحياة حديثاً يهزُّ الوجدان فيصحو من تبلده، ويتيقظ لحقيقة الألوهية والربوبية التي يرجع إليها الموت والحياة؛ كقوله تعالى:

﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَزُوقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ، بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾^(١).

وليس هذا في مجال الإنسان فحسب؛ بل في مجال المخلوقات الأخرى، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

جـ- وفي الرزق بأنواعه وألوانه:

وهو من أشدِّ الأمور التي تربط القلب بالله وتحرك الفطرة والوجدان، يذكرنا الله تعالى في كتابه الكريم بأنه - سبحانه - هو الذي يُفيضه على الإنسان دائماً، فقد تكفل الله تعالى للإنسان بكل ما يحتاجه في أموره الماديّة؛ من طعام وشراب وملبس ومسكن وهواء؛ ومن تسخير لكل الموجودات كي

(١) سورة الملك، الآية: (٢١).

(٢) سورة الزمر: الآية (٢١).

يُتَنَفَّعُ بِهَا الْإِنْسَانُ، وَجَعَلَهَا تَسِيرَ عَلَى نِظَامٍ يَتَّفَقُ مَعَ حَيَاةِ النَّاسِ وَحَاجَاتِهِمْ...

وَيَعْرِضُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَوْضُوعَ الرِّزْقِ بِطَرِيقَةٍ تَوْقِظُ الْفِطْرَةَ وَتَحَرِّكُ الْوُجْدَانَ لِمَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلِمَعْرِفَةِ أَنَّهُ - سُبْحَانَهُ - الْمَتَرَدُّ بِهَذَا الرِّزْقِ وَالْعَطَاءِ، وَأَنَّهُ هُوَ الرِّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ، وَأَنَّ الْأَرْزَاقَ كُلَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ مَهْمَا بَذَلَ مِنْ جَهْدٍ فَهُوَ لَا يُنْشِئُهَا فِي الْحَقِيقَةِ، وَإِنَّمَا يَعْمَلُ فِيهَا بِسُنَّةِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَلَكِنَّ الْمُنْشِئَ وَالْخَالِقَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ۖ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ۖ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ۖ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَلًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۖ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۖ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ۖ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۖ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ۖ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَجَاغًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۖ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ۖ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ۖ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً ۖ وَمَتَعًا لِلْمُقْوِينَ ۖ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۖ ﴿٧٤﴾ ۝ ١﴾

فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كُلَّهُ لِلَّهِ تَعَالَى فِي إنبَاتِ الزَّرْعِ، وَفِي إِنْزَالِ الْمَاءِ مِنَ الْمَزْنِ؛ وَفِي تَسِيرِ النَّارِ وَالْوُقُودِ... فَإِنَّ فِي هَذَا كُلِّهِ تَذْكِرَةً

(١) سورة الواقعة: الآيات (٦٣ - ٧٤).

وتبصرة؛ فينتهي السياق حين يهزُّ الوجدان بذلك العرض
كله؛ بدعوة الإنسان - وهو في حالة تأثره وانفعاله الوجداني -
أن يسبِّح باسم ربه العظيم الذي أفاض عليه كل تلك الأرزاق
والخيرات، والنعم الظاهرة والباطنة!

د- وتجري الأحداث حول الإنسان

وفي خاصة نفسه من مولده إلى مماته:

بعضها أحداثٌ كونيَّة: كالليل والنهار وتعاقبهما المستمر؛
وطلوع الشمس وغروبها، وطلوع القمر وتدرج أوجهه من
أول الشهر حتى يكون بدرًا؛ ثم يتضاءل حتى يختفي؛
والسحاب والمطر والرعد والبرق، وتعاقب الفصول... الخ.

وبعضها أحداثٌ من محيط البشر: من ميلاد وموت،
وصحة وضعف، وطفولة وشباب وكهولة وشيخوخة، وغنى
وفقر، وعز وذل... الخ.

تمرُّ هذه الأحداث على المؤمن فيجد لنفسه فيها عبرة، يعلم أنَّ
من ورائها تدبيرًا حكيمًا من إلهٍ حكيم - هو الذي يُجري
الأحداث بعلمه وحكمته وقدرته - وهو الذي يدبِّر أمر الكون
كله، فلا يحدث في هذا الكون الهائل العريض إلا ما يريد الله،
ولا يتم أمرٌ من أمور الكون إلا على الصورة التي يريد الله.

أما الغافل فلا ينتبه لما فيها من دلالة وجود الله تعالى وتفردّه بتدبير الأمر كله؛ فيجىء القرآن الكريم ليهزّه من غفلته، ويُطلعه على حقيقة الأمر، ويزيل الغشاوة عن النفس؛ فينفعل الوجدان ويتيقظ القلب؛ كقوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَحَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١).

فقد ساق الله تعالى في هذه الآية الكريمة كثيراً من الأحداث الجارية في هذا الكون، في الأرض وفي السماء، وفي ما بين الأرض والسماء، عرضها في سياق واحد، وربط الوجدان بهذه الأحداث عن طريق لفت الحسّ إلى الحركة الدائبة في هذا الكون حتى وصل إلى الغاية المقصودة في رؤية آيات الله الكونية وأنها لا تحدث من تلقاء نفسها ولكن وراءها تدبيراً وحكمة.

(١) سورة البقرة، الآية: (١٦٤).

هـ - أما علم الله للغيب:

فإنه علم شامل محيط في كل جانب من جوانبه في الماضي وفي الحاضر وفي المستقبل؛ وقد يحاول الإنسان شيئاً من ذلك بوسائل وأسباب ولكنه يعجز عنه؛ أما الله سبحانه وتعالى فإنه يعلم الغيب كله؛ لأنه هو العليم بكل ما في السماوات والأرض؛ وكل ما حدث وما يحدث؛ لأنه منشئ الأحداث. والقرآن الكريم ينبه الوجدان البشري إلى هذه الحقيقة، فيقول الله تعالى:

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۝٨ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۝٩﴾^(١).

ففي الآية الكريمة دليل على عظمة الله وشمول علمه للغيب في كل المجالات التي ضربت الآية الكريمة أمثلة عليها: في مجال الإنسان؛ وفي مجال الحيوان.. ما تحمل كل أنثى.. فمن الذي يحصي هذا كله ومن الذي يعلم خصائص كل حمل تحمله كل أنثى... إنه لا أحد يستطيع ذلك إلا الله تعالى الذي جعل كل شيء عنده بمقدار؛ ولا يغيب عنه إسرار

(١) سورة الرعد، الآيتان: (٨ - ٩).

بالقول ولا خطراتُ في النفس... فأين يغيب عن الله شيء واحد من أعمال الإنسان؟ فالكل مسجل ومحفوظ، وسيُجزى الإنسان عليه:

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(١).

وهنا يجدر التذكير بأن هذا المنهج الوجداني أو الفطري الذي يسلكه القرآن الكريم لغرس العقيدة لا يقتصر على جانب واحد من جوانبها. وإنما يمتد ليشمل جميع جوانب العقيدة ومكوناتها، فهو يعمل في الإلهيات وفي النبوات والسمعيّات.

ففي مجال الإلهيات.

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا

(١) سورة الأنعام، الآية: (٥٩)

كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاتُّنَا بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ﴿١﴾.

وفي مجال النبوات:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢)

وفي السمعيات أيضاً:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَعْنَا لِمَى خَلَقَ جَدِيدٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣).

وفي التربية على مقتضيات العقيدة والإيمان:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَآذِكُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٤)

(١) سورة إبراهيم، الآية: (١٠).

(٢) سورة التوبة، الآية (١٢٨).

(٣) سورة الرعد، الآية (٥).

(٤) سورة آل عمران، الآية: (١٠٣).

وفي ختام هذه الفقرة حسَبُنا أن نؤكِّد أنَّ القرآن الكريم يلفت النظر إلى خصائص الفطرة والمواقف العملية التي تعيد إليها نقاءها وصفاءها باعتبار أنَّ هذا كلُّه يصلح -منهجياً- اعتبار الفطرة قاعدة من قواعد أخرى، فيتكون منها جميعاً منهج خاص يتميز به الإسلام حين يصطنعه منهجاً لبناء العقيدة الصحيحة في نفوس الأفراد والجماعات.

المطلب الثاني

المنهج العقلي

إنَّ المنهج العقلي الذي يسلكه القرآن الكريم في بيان العقيدة وغرسها في النفوس يأتي متناغماً مع المنهج الفطري ومتكاملاً معه. ولذلك فإنَّ القرآن الكريم لم يكن مقصوداً على مجرد الخبر عن وجود الله تعالى ووحدانيته وسائر أركان العقيدة، وإنما أقام البراهين العقلية التي بها تُعَلَّم العلوم الإلهية؛ فكان منهجه ومنهج جميع الأنبياء - عليهم السلام - الجمع بين الأدلة العقلية والسَّمْعِيَّة (الشرعية)^(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: فالاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقلية صحيحة، وهي شرعية، دَلَّ عليها القرآن وهدى الناس إليها؛ فإنَّ نفس كون الإنسان حادثاً بعد أن لم يكن، ومخلوقاً من نطفة ثم من علقة... فإن هذا يعلمه الناس كلُّهم بعقولهم، فهو إذن عقلي؛ لأنه بالعقل تعلم صحته، وهو شرعي أيضاً^(٢).

(١) ((مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية)): ٢٢٦/ ٩ - ٢٢٧.

(٢) انظر: ((النبوات)) لابن تيمية ص (٤٨). و راجع أيضاً: ((قانون التأويل))

لأبي بكر ابن العربي ص (٤٥٩).

والإسلام ينوّه تنويرها كبيراً بالعقل ويُعلي من مكانته وقيّمته؛ ونجد شاهداً على ذلك في الآيات القرآنية التي تنزلت بشأنه؛ فالعقل هو هبة الله للإنسان؛ ولذلك جعله الله تعالى سبباً للتكليف ومناطقاً للمسؤولية؛ وحثَّ على استعماله فيما خُلق له وفي المجال الذي يستطيعه، ورسم له المنهج الصحيح للعمل والتفكير، وأحال عليه في القضايا الكبرى الرئيسية كمعرفة الله تعالى ووحدانيته وصحة النبوة والبعث بعد الموت، فإن إدراك هذه القضايا إدراكاً كلياً عاماً إنما يكون بالعقل.

وإن كان هذا لا يعني أن نجعل العقل حاكماً على مقررات الدين؛ فإن العقل من شأنه أن يتلقى عن الوحي، وأن يفهم ويدرك، فإن للعقول حداً تنتهي إليه لا سبيل لها إلى مجاوزتها^(١).

(١) انظر تفصيلاً لذلك كله في: «المقاصد العامة للشريعة» د، يوسف العالم، ص (٣٤٤) وما بعدها. و«مذاهب فكرية معاصرة» للأستاذ محمد قطب، ص (٥٣) وما بعدها. و«خصائص التصور الإسلامي» للأستاذ سيد قطب، ص (٥٤) وما بعدها. و«منهج المدرسة العقلية في التفسير» د. عبد الرحمن الرومي: ٢٩/١ - ٣٩، و«المدخل إلى الثقافة الإسلامية» د. محمد رشاد سالم، ص (٢٣٦ - ٢٣٠)، و«عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي» د. عثمان ضميرية، ص (٢٦) وما بعدها.

مجالات المنهج العقلي:

والقرآن الكريم يخاطب العقل ويُقنع الإنسان بالمنطق السهل المؤثر في النفس بأسلوب حي جذاب، حيث يوجّه نظره إلى آيات الله في الكون والرزق والحياة والموت والأحداث الجارية كما سبق الحديث عنها في المنهج الفطري الوجداني.

ولكنه مرة أخرى يعرض لها بأسلوب ومنهج عقلي يؤدي في النهاية إلى الغاية ذاتها، وهي إدراك حقيقة التوحيد و الربوبية و الألوهية المطلقة، وما يتفرع عن هذه الأصول من حقائق وقضايا الإيمان والعقيدة. و الإسلام يُعلي من مكانة العقل، ويرسم له المنهج الصحيح للتفكير، ويضع له الضوابط، ويحدّد له مجاله ودائرة عمله أيضاً:

أ- ففي مجال الألوهية:

يعرض القرآن الكريم آيات القدر والخلق، ومظاهر الموت والحياة، فيقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ ٥٧ ﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ

﴿٦٣﴾ ۞ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ۖ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحَرِّمُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ
الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ۞ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ
نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ
﴿٧١﴾ ۞ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَاعِلُهَا
تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿١﴾

وقد تقدمت هذه الآيات الكريمة في المنهج الفطري؛ وهي كذلك مثال على المنهج العقلي، لما فيها من أسلوب منطقي يتصف بالحيوية لما فيها من الأسئلة الموجهة إلى المخاطب والإجابة عنها إلى أن يصل إلى النتيجة المطلوبة التي بُدئ بها لإيراد الدليل عليها، مع تعدد الأمثلة المأخوذة من حياة الإنسان وما يحيط به..

ولو تأمل الإنسان - بعقله وفكره - آيات الله المبثوثة في الأرض وفي النفس والآفاق: لأيقن بأن وراء هذه الآيات قدرة الله تعالى، وأنها دليل على وحدانيته، فيجب طاعته والالتزام بأمره ونهيه وخلع ما يُعبد من دونه من الأنداد والشركاء. قال الله تعالى:

(١) سورة الواقعة، الآيات: ٥٧ - ٧٤.

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(١).

وبالأسلوب العقلي المنطقي تأتي أدلة الوحداية، كقوله تعالى:

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ﴾^(٢).

كما قال الله سبحانه وتعالى:

﴿أَمِ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾^(٣).

وجميع الأدلة المعروفة في علم الكلام والفلسفة مبثوثة في القرآن؛ ولكن بطريقة حيّة وبأسلوب يمكن أن تفهمه الخاصة والعامة؛ كلٌّ بقدر طاقته.

ومن هذه الطرائق المنطقية: طريقة تُعرف في الرياضيات بتمديد الخط البياني؛ فإذا أمكن معرفة جزء منه أمكن معرفة باقيه واستخراج المعادلة المعبرّة عنه^(٤).

(١) سورة الذاريات الآيتان (٢٠ . ٢١).

(٢) سورة المؤمنون الآية (٩١).

(٣) سورة الأنبياء، الآيتان: (٢١ - ٢٢).

(٤) انظر: ((العقيدة في القرآن))، للأستاذ محمد المبارك ص، (٨٠)،

و((ترجيح أساليب القرآن)) لابن الوزير اليماني، ص (١٥ - ٢٢)

فاستمع إلى هذه الآيات الكريمة التالية على لسان أبي
الأنبياء إبراهيم -عليه السلام- وهو الأسوة في قوة الحجة
والمجادلة والحوار، وفيها دليل صادق في قضية الألوهية بمنهج
عقلي:

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۝ ٧٨ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝ ٧٩
وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝ ٨٠ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۝ ٨١
وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ۝ ٨٢﴾^(١).

ب - وفي مجال النبوات أيضاً:

يخاطب القرآن الكريم العقل، ويوجهه إلى معرفة صدق
النبي، ومصدر القرآن، وأنه هو الوحي المنزّه عن الخطأ
والاختلاف، فيقول الله تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ
أُخْتِلَافًا كَثِيرًا ۝ ٢٣﴾^(٢).

فإن سلامة القرآن من الاختلاف والتناقض، مع سلامته في
الأسلوب الذي يجري على منهج واحد؛ دليل عقلي على أنه من
عند الله تبارك وتعالى؛ وليس من عند البشر، فلو كان من عند

(١) سورة الشعراء، الآيات: (٧٨ - ٨٢).

(٢) سورة النساء، الآية (٨٢).

غير الله لظهر فيه ذلك التفاوت والتناقض كأني عمل بشري
مهما ارتقى مستواه، وعلا شأن صاحبه^(١).

ج - وفي السمعيّات:

يقيم القرآن الكريم الدليل العقليّ على البعث والحساب؛ فإن
العقل يمنع أن تكون الحياة عبثاً؛ وأن يُترك الإنسان سُدىً دون
تكليف ولا محاسبة ولا جزاء يفرق فيه بين المؤمن والكافر، وبين
التقي والعاصي الفاجر، فلو لم يكن هناك يوم آخر يحاسب فيه
الناس على أعمالهم بعد الموت لاستوى هؤلاء جميعاً.

قال الله تعالى:

﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ۚ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْتَى ۚ (٣٧)
ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ۚ (٣٨) جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۚ (٣٩) أَلَيْسَ
ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ۚ﴾^(٢).

وكذلك يحكم العقل بأن من قدر على الخلق في المرة الأولى
فهو على الإعادة أقدر: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۚ﴾^(٣).

(١) انظر: (تفسير الفخر الرازي) : ١٠ / ٢٠٢.

(٢) سورة القيامة، الآيات: (٣٦ - ٤٠).

(٣) سورة الروم، الآية (٣٧).

والذي ينبغي أن نلمح إليه في آخر كلامنا على المنهج العقلي:
أن الإسلام بيّن للعقل الطريق الذي ينبغي أن يسير فيه حين
يريد النظر في مسألة بعينها؛ والطرائق مختلفة والأساليب
متعددة؛ ولكل مسألة من المسائل ما يناسبها من طرائق النظر
وأساليب الفكر.

فإذا كان موضوع النظر هو مسائل الألوهية: فإنَّ العقل
أمامه طريقان اثنان للوصول إليها:

(أحدهما): أن ينظر في الكون ويتأمله ليستنتج من ذلك أن
له موجداً؛ ثم ينظر في تناسق هذا الكون وانسجامه ليعلم أن
موجده واحد عالم حكيم خبير.

و(الثاني): أن ينصت إلى هذا الإله الحكيم الخبير الذي آمن
به حينما يحدث عمّا يجب، وعمّا يجوز، وما يستحيل على هذا
الإله من أسماء وصفات.

أمّا حين يكون الحديث في مجال آخر غير مجال الألوهية؛
كمجال النبوة والرسالة مثلاً: فإن الإسلام يوجّه العقل وجهةً
أخرى، فيطالبه بالنظر في إثبات دعوى النبوة من جهات
ثلاث:

الأولى: النظر في تاريخ مدّعي النبوة وشخصيته وأخلاقه ليتعرف على صدقه في النبوة، فإن معرفة الداعي وأخلاقه وصدقه تدل على صدق دعواه ودعوته.

والثانية: فيما جاء به هذا النبي من العقائد والشرائع والأخلاق مما يرسم منهجاً كاملاً لحياة الإنسان وهدايته.

والثالثة: أن ينظر فيما ادّعه من الخوارق والمعجزات التي تدلّ على صدقه فيما يخبر عن ربه تبارك وتعالى^(١).

وأخيراً: فإن هناك توازناً وتناغماً بين هذا المنهج العقلي والمنهج الفطري السابق؛ فنقول: إن القرآن يسلك منهجاً عقلياً ووجدانياً في الوقت نفسه لبيان حقائق العقيدة والإيمان.



(١) انظر: ((عقيدتنا وصلتها بالكون))، د. طه الدسوقي، ص (١١٠ - ١١٣).

المطلب الثالث

منهج الجدل والرد على الانحرافات

ألمحنا فيما قد سبق إلى أن الفطرة قد تنحرف، وإلى أن الكتب السابقة قد دخلها التحريف والتبديل؛ وكان لهذا أثره في شيوع الانحرافات والضلالات عند الأمم السابقة؛ فكان لهم معتقدات وتصورات باطلة؛ وكان لهم شبهات طارئة؛ لذلك وقفوا وقفة جائرة ظالمة من دعوة النبي إلى التوحيد.

لذلك أبرز القرآن الكريم تلك الانحرافات، وجادل أصحابها، وأزال شبهتهم، وأقام عليهم الحجة بكل طريقة.

ومن خلال الجدل والحجاج والرد والمناقشة لمعتقدات الجاهليين - أيأ كانوا - تبرز العقيدة الصحيحة التي تتفق مع الفطرة السليمة ويقبلها العقل الصريح.

مجالات منهج الجدل والرد على الانحرافات:

ومن أعظم الانحرافات والضلالات التي ردَّ القرآن الكريم على أصحابها: إنكار الألوهية والربوبية والشرك فيهما؛ وإنكار البعث والنبوة؛ وانحراف اليهود في تصوُّرهم للإله؛ وانحراف النصارى وشركهم حيث ادَّعوا أن الله ولدًا وأنه ثالث ثلاثة - تعالى الله عن كل ذلك علواً كبيراً. وهناك

انحرافات أخرى تتمثل فيما كان عليه الصّابئة والمجوس وغيرهم.

أ - فقد ردّ الله تعالى على منكري الربوبية؛ الذين نسبوا الإحياء والإماتة إلى الدهر؛ وهم الصورة الأولى للإلحاد الذي عرفته بعض المجتمعات المعاصرة. فقال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ^(١).

وبذلك بيّن القرآن الكريم أنّ الإلحاد لا يقوم على شيء من العلم، وإنما هي الظنون والأوهام والأهواء. وقد سبق في المنهج الفطري والعقلي ما يوضح أن وجود الله تعالى حقيقة لا يشك فيها عاقل؛ وأن الأدلة كلها قامت على ذلك عقلاً وشرعاً وواقعاً.

ب - وردّ القرآن الكريم على المشركين ألوان الشرك الذي وقعوا فيه؛ حيث عبدوا الأصنام، وبعضهم كانوا يعبدون الجنّ أو الملائكة، ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله.. إلخ. وبيّن القرآن الكريم حقيقة الأمر في ذلك بطريقتين:

(الأولى): بيان أن الله وحده هو الخالق المدبّر لهذا الكون؛ فلا أحد يشاركه في الخلق ولا في التدبير.

(١) سورة الجاثية، الآية: (٢٤).

قال الله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۚ﴾
 ۞ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ
 لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا
 كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَدْلُونَ
 ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا
 رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرُ هُمْ
 لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ
 وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ
 ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّحَ
 بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
 ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ أَلَيْسَ
 اللَّهُ قُلُوكَ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١﴾

(الثانية): بيان عجز أولئك الشركاء المزعومين على أن يملكوا لأنفسهم ضراً أو نفعاً. فكيف يمكن لهم أن ينفعوا غيرهم أو يضرّوهم؟ ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (١١١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١١٢﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ

(١) سورة النمل، الآيات: (٥٩ - ٦٤).

صَمُوتَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ
أَمْثَلُكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ آرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ
أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ
ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِىَّ اللَّهِ الَّذِى نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ
يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا
يَسْمَعُوا وَتَرْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾

ج _ وعندما ادعى المشركون العرب أن الله أولاداً وبنات -
متابعة لليهود الذين قالوا: إنَّ عزيراً ابن الله، ومضاهاة لقول
النصارى الذين قالوا: عيسى ابن الله - ردَّ الله تعالى عليهم،
ونزَّه نفسه عن ذلك فقال سبحانه وتعالى:

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ
عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ ﴿١٩٩﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ
كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٢٠١﴾

(١) سورة الأعراف الآيات: (١٩١ - ١٩٨).

(٢) سورة الأنعام، الآيات: (١٠٠ - ١٠٢).

د - وعندما تنكر العرب للبعث والجزاء، وعجبوا من ذلك أشدَّ العجب واستبعدوا أن يكون هناك حياة أخرى بعد الموت.. عندئذ حكى الله تعالى ذلك عنهم ثم أقام الأدلة على البعث بتوجيه أنظارهم وعقولهم إلى آيات الله في هذا الكون وقدرته سبحانه التي تتجلى في عظمة هذه المخلوقات لأول مرة؛ فكيف لا يقدر على الخلق مرة أخرى؟.. واسمع إلى هذه الآيات الكريبات بأسلوبها المعجز الأخاذ.

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۝٦ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَهِيجٍ ۝٧ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝٩ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝١٠ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۝١١ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ

وَإِخْوَنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْآيَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ
﴿١٤﴾ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١﴾.

هـ - ولما انحرف اليهود والنصارى في تصوُّرهم لله وقدرته، ردَّ عليهم أفكاراً كثيرة، كما في قول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُّغُوبٍ﴾ ﴿٣﴾.

فقد نزلت الآية الكريمة ردّاً على اليهود الذين زعموا أن الله - سبحانه وتعالى - تعب من الخلق، فاستراح في اليوم السابع، يوم السبت ﴿٣﴾.

وعندما زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، أو أنهم شعب الله المختار، ردَّ عليهم بقوله:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ

(١) سورة ق، الآيات: (١ - ١٥).

(٢) سورة ق الآية (٣٨).

(٣) و كتبوا هذا الزعم بأيديهم وأسموه الكتاب المقدس، كما في الفصل الثاني من سفر التكوين، ص ١٠، وفي سفر الخروج، الحادي والثلاثين، ص ١٦ - ١٧. وانظر: الوصية الكبرى لابن تيمية، ص ٤٩ - ٥٠.

وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ^ع وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا^ط
وَالِيَهُ الْمَصِيرُ ﴿١﴾.



(١) سورة المائدة الآية (١٨). قيل أرادوا أن الله تعالى لهم كالأب في الحنو والعطف، وهم كالأبناء له في القرب والمنزلة. وقال إبراهيم النخعي: إن اليهود وجدوا في التوراة يا أبناء أبحاري، فبدلوا يا أبناء أبحاري، فمن ذلك قالوا: نحن أبناء الله، وقيل: معناه نحن أبناء رسل الله. فردَّ عليهم بقوله: **ثُمَّ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ** **ثُمَّ** يريد إن كان الأمر كما زعمتم أنكم أبناءه وأحبائه فإن الأب لا يعذب ولده، والحيب لا يعذب حبيبه، وأنتم مقرون أنه معذبكم؟ وقيل: فلم يعذبكم أي: لِمَ عَذَّبَ من قبلكم بذنوبهم فمسخهم قردة وخنازير؟ **ثُمَّ بَلَّ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ** **ثُمَّ** كسائر بني آدم مجزيون بالإساءة والإحسان، **ثُمَّ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ** **ثُمَّ** فضلاً **ثُمَّ** يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ **ثُمَّ** عدلاً. انظر: ((تفسير البغوي)): ٦٥٥/١.

المطلب الرابع

منهج بيان العقيدة من خلال القضايا الاجتماعية

وخلافاً - كذلك - للطريقة المجردة الجافة التي نجدها في كتب المتأخرين، وفي كتب الفلاسفة الذين تعرضوا لمسائل الاعتقاد والوجود؛ تعرض القرآن لعقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر من خلال قضايا الإنسان الاجتماعية الكبرى التي تهّم البشرية وكانت موضوعاً للتفكير عندها والاهتمام بها، وفي مقدمتها تحرير الإنسان من العبودية للبشر في المجالين السياسي والاقتصادي.

وقد وردت في كتاب الله تعالى سورة طويلة بكاملها تدور حول هذين المحورين: التحرّر من سلطان التألّه والطغيان السياسي؛ والتحرّر من سلطان التأله المالي والاقتصادي، وهي سورة القصص التي تبرز فيها شخصية ((فرعون)) القائل: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾، وقارون الذي ﴿كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾. وكان الهلاك مآل فرعون وقارون؛ وكان البقاء لله تعالى وحده.

وبهذه الفكرة تُنهي السورة قصة المتألهين على الناس، فتنتهي بنا بقوة إلى عقيدة التوحيد والإيمان بالله وحده في هذه الآية الخاتمة للسورة الكريمة:

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا
وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ^(١).

وكذلك التحرر من العبودية للبشر في المجال الديني،
كالذي وقع فيه اليهود والنصارى، عندما خضعوا للأجبار
والرهبان وتابعوهم في التحليل والتحرير من دون الله، فكان
ذلك لونا من ألوان العبادة لغير الله فقال الله تعالى عنهم:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ
وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا
لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ^(٢).

(١) سورة القصص الآية (٨٨).

(٢) سورة التوبة (٣١).

المطلب الخامس: المنهج الإرادي العملي

الإرادة البشرية مخاطبة في الإسلام منذ اللحظة الأولى التي يتعرض فيها الإنسان للإنذار ثم لعوامل تصديق الرسول ﷺ. واستجابة الإرادة لهذا الخطاب هي ((التسليم)) أو الاستسلام والخضوع لله تعالى ولمنهجه.

قال الله تعالى:

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(١).

﴿إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٢)

وفي هذا يقول الإمام أبو جعفر الطحاوي - رحمه الله -:
«ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام؛
فمن رام علم ما حُظِر عنه علمه؛ ولم يقنع بالتسليم فهُمُّه
حجبه مرأته عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح
الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان والتصديق والتكذيب

(١) سورة آل عمران الآية: ٨٣.

(٢) سورة النمل، الآية: ٨١.

والإقرار والإنكار؛ موسوساً تائهاً شاكاً زائغاً؛ لا مؤمناً مصدقاً ولا جاحداً مكذباً^(١).

ويقول الإمام العلامة ابن السَّمْعَانِيّ -رحمه الله-:

«الأصل في الدين الاتِّباعُ؛ والعقولُ تبعٌ؛ ولو كان الدين بُني على المعقول وجب ألاَّ يجوز للمؤمنين أن يقبلوا أشياء حتى يعقلوا. ونحن تدبّرنا عامة ما جاء في أمر الدين؛ من ذكر صفات الله عزَّ وجلَّ؛ وما تعبَّد الناس من اعتقاده؛ وكذلك ما ظهر من بين المسلمين وتداولوه بينهم وتناقلوه عن سلفهم إلى أن أسندوه إلى رسول الله ﷺ؛ من ذكر عذاب القبر وسؤال الملكين... أمور لا تُدرك حقائقها بعقولنا، وإنما ورد الأمر بقَبولها والإيمان بها، فإذا سمعنا شيئاً من أمور الدين وعَقَلناه وفهمناه.

فلله الحمد في ذلك والشكر، ومنه التوفيق. وما لم يمكننا إدراكه وفهمه ولم تبلغه عقولنا آمناً به وصدقنا واعتقدنا أنَّ هذا من ربوبيَّته تعالى»^(٢).

(١) انظر: ((العقيدة الطحاوية)) بيان السنة للطحاوي ص (٨٢) ضمن كتاب

((أصول الدين عند الأئمة الأربعة)) د. عبد الله القفاري.

(٢) انظر: ((صون المنطق والكلام)) للسيوطي ص (١٨٢).

مجالات المنهج الإرادي العملي:

وهنا نذكر بعض الآيات التي تتوجه إلى إرادة الإنسان مباشرة تقتضي منه التسليم والانقياد والخضوع لله تعالى، وهي على وجه خاص، الآيات الكريمة التي جاءت في صيغة التقرير، وتحمل في طياتها الإلزام الإرادي.

أ - ففي مجال الإلهيات؛

يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَسْلَمُوا وَمَا أُخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ
وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ أَسْلَمْتُمْ
فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ
بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾^(١).

ب _ وفي مجال النبوات:

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ
الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ
فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩ - ٢٠.

لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدْ مَنَّآ إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾

ج - وفي مجال السمعيّات،

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾^(٢).

وهذه الآية الكريمة وما سبقها من الآيات الكريّات؛ قد جاءت في صياغة تقريرية موجهة للإرادة للتسليم، وهو تجسيد لحقيقة الإيمان بالله تعالى والخضوع له والعبودية^(٣).

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٢٠ - ٢٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية ١٤.

(٣) هذه الفقرة مقتبسة من ((مداخل إلى العقيدة الإسلامية))، د. يحيى هاشم فرغل، ص (١١٨) وما بعدها.

المطلب السادس

منهج تثبيت العقيدة والتذكير بالله

وإذا كانت المناهج السابقة مسالك لبيان العقيدة، فإنها بعد وجودها وبيانها تحتاج إلى أن نتعاهدها، وأن نعمل دائماً على تثبيتها في النفس، فيكون لها الأثر الفاعل في نفس صاحبها؛ فلذلك نجد في القرآن الكريم و في السنة النبوية وسائل لتثبيت الإيمان في النفس البشرية.

والوسيلة الكبرى لذلك التذكير الدائم؛ التذكير بعظمة الله تعالى وآيات قدرته في الآفاق وفي النفس حتى يخشع القلب ويستسلم. والتذكير بأن الله مع الإنسان يراه ويراقبه ويحصى عليه أعماله؛ ثم يحاسبه عليها يوم القيامة حتى تصبح تقوى الله جزء لا يتجزأ من مشاعر القلب وركيزة ثابتة في حالة السراء والضراء؛ ففي السراء يذكر الله شاكراً لأنعمه، وفي الضراء يذكر الله صابراً ومتطلعاً إليه سبحانه ليكشف عنه سوء..

ويورد القرآن القصص التي تثبت الإيمان: قصص الأنبياء وأتباعهم من المؤمنين الذين صبروا على الأذى حتى جاء نصر الله؛ وقصص الكفار الذين كذبوا وعاندوا حتى دمر الله تعالى عليهم بكفرهم. وأخيراً يرسم القرآن صوراً محببة للمؤمنين وصفاتهم؛ وما ينتظرهم من الجزاء في الآخرة مخلدين في

الجنات؛ وصوراً كريهة منفرة للكافرين وصفاتهم وما ينتظرهم من الجزاء في الآخرة مخلدين في النار وما ينالهم من العذاب يوم القيامة.. ويظل القرآن يكرر هذه التوجيهات حتى ترسخ في النفس وحتى يصبح القلب مستحضراً عظمة الله كأنه يراه لا يغفل الإنسان عن ذكره. فتستقيم مشاعره ويستقيم سلوكه ويصبح عبداً ربانياً مقرباً إلى الله في الدنيا والآخرة؛ فيرزقه الله الطمأنينة والسعادة في الدنيا؛ ويمنحه في الآخرة جنته ورضوانه^(١).



(١) انظر: ((ركائز الإيمان))، للأستاذ محمد قطب، ص (٩٥).

المبحث الثاني أصول العقيدة

تضافرت النصوص القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، تدل دلالة قاطعة على أصول العقيدة الإسلامية، وهي التي تسمى أركان الإيمان. فقد جعلها الله تعالى صفات لازمة للمؤمنين، وبيّن أنها هي الطاعة والبر، وأمر بالإيمان بها أمراً مباشراً صريحاً، وجعل إنكار ركن منها كفراً بالله تعالى وضلالاً كبيراً، فكان ذلك كله وجوهاً تدل على وجوب الإيمان بها:

﴿ءَاٰمَنَ الرَّسُوْلُ بِمَاۤ اُنْزِلَ اِلَيْهِۭ مِنْ رَّبِّهِۭ ۚ وَٱلْمُؤْمِنُوْنَ كُلُّۭ ءَاٰمَنَۙ بِاللّٰهِ وَمَلٰٓئِكَتِهٖۙ وَكُتُبِهٖۙ وَرُسُلِهٖۙ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَۢ اَحَدٍۭ مِنْ رُّسُلِهٖۙ ۚ وَقَالُوْا سَمِعْنَا وَاَطَعْنَا غُفْرٰنَكَ رَبَّنَاۤ اِلَيْكَ الْمَصِيْرُۙ﴾^(١).

وقال في بيان حقيقة البر: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ اَنْ تُوَلُّوْا وُجُوْكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَاٰمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَالْمَلٰٓئِكَةِ وَالْكِتٰبِ وَالنَّبِيِّنَّ وَءَاتٰى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۭ ذَوٰى الْقُرْبٰى وَالْيَتٰمٰى وَالْمَسْكِيْنَ وَابْنَ السَّبِيْلِ وَالسَّآئِلِيْنَ وَفِي

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ
 إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ
 صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١﴾

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ وقال بصيغة الأمر الدال على
 وجوب الإيمان بأركان العقيدة، مقترناً ببيان أن الكفر بركن من
 أركان الإيمان، إنما هو ضلال وكفر بالله: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ
 ءَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ
 وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ ﴿٢﴾.

وفي حديث جبريل الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:
 بينما نحن عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم، إذ طلع علينا
 رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه
 أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، فأقبل حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم
 فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال:
 يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإسلام

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٦.

أَنْ تشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً» فقال: صدقت. قال: فعجبنا له، يسأله ويصدقه!

قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال: صدقت.

قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». قال: فأخبرني عن الساعة. قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل».

قال: ثم انطلق، فلبث ملياً. ثم قال لي: «يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «(إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)»^(١).

فهذه ستة أصول للعقيدة الإسلامية ومعالمها، وهي أركان الإيمان وركائزه، التي لا يتم إيمان المرء إلا بها. وفيما يلي إشارات إليها، وأخصّص لكل ركن منها مطلباً وجيزاً بما يتناسب مع طبيعة هذا البحث.

(١) أخرجه البخاري في الإيمان، باب سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام:

١١٤/١، ومسلم في الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان: ٣٦/١ - ٣٧.

واللفظ له.

المطلب الأول: الإيمان بالله تعالى

الإيمان بالله تعالى، خالق الكون وحده لا شريك له، المتفرد بالأمر والنهي، والمتصف بصفات العظمة والجلال، هو أول أركان الإيمان وأعظمها، وعنه تتفرع سائر الأركان، ومن ثم أصبحت كلمة التوحيد وهي شهادة ((أن لا إله إلا الله محمد رسول الله)) تشير إلى كل جوانب العقيدة ومسائلها؛ لأنه إذا حصل الإيمان بمضمونها على الوجه الصحيح استتبع ذلك - قطعاً - الإيمان بسائر العقائد من إلهيات ونبوات وسمعيّات، فإن الوحداية تتضمن الاعتراف لله تعالى بأنه هو المعبود بحق، وهو اعتراف ضمني بأنه جامع لكل كمال، منزّه عن كل نقص؛ إذ لا يستحقّ العبادة إلا من كان كذلك.

وهي تدلُّ على النبوات وما يتصل بها، فإن تكذيب الرسل هو - عند التحقيق - تكذيبُ الله تعالى وشرك به، لأنه لا يكذب بالرسول إلا من أنكر معجزاته، ولا معنى لإنكار معجزاته إلا إنكار كونها من عند الله تعالى، وعندئذ يحصل الكفر.

ولهذا حكم الله تعالى بالكفر على كل من يكفر برسولٍ من الرسل فقال سبحانه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ

بَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾

ثم إن تصديق الرسول ﷺ في دعوى الرسالة يستلزم
تصديقه في كل ما جاء به، فتدخل السمعيّات وغيرها في
التوحيد، فيكون التوحيد جماع الدين كله^(١).

والإيمان بالله تعالى يتضمن الإيمان بوجوده سبحانه،
والإيمان بأنه وحده الخالق المدبّر لهذا الكون، المتصرّف بكل ما
فيه، فهو المتفرّد بالربوبية، وأنه وحده الذي يستحق العبادة
والطاعة فهو المتفرّد بالألوهية، وأنه سبحانه متفرّد بصفات
الكمال والجلال، وأن له الأسماء الحسنى والصفات العلى.

وهذا ما نخصص له فقرتين: الأولى عن وجود الله تعالى،
والثانية عن توحيد الله - سبحانه وتعالى - وما يتضمنه هذا
التوحيد.

أولاً - وجود الله تعالى:

وجود الله تعالى فطرة مركوزة في نفس كل إنسان؛ منذ أن
أخذ الله الميثاق على بني آدم، إذ لا يشكّ عاقل في ذلك:

(١) سورة النساء، الآية: ١٥٠ - ١٥١.

(٢) انظر: المختار من كنوز السنة للدكتور محمد عبد الله دراز، ص ١٤٢ - ١٤٤.

﴿قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ
مُّسَمًّى﴾ (١).

فلم يكن الأمر بحاجة إلى وقفة طويلة لمناقشة الكفار والمشركين وإقامة الأدلة على وجود الله تعالى، وإنما جاءت الرسل لتصحيح فكرة الناس عن الألوهية. إلا أن هذه الفطرة قد يصيبها من الأمراض ما يجعلها تنحرف أو تنطمس لسبب من الأسباب، فتحتاج عندئذ إلى أن تُوقظ من جديد، ولهذا بعث الله تعالى رسله - عليهم الصلاة والسلام - للدعوة إلى التوحيد، وأقام من الأدلة في الأنفس والآفاق ما يجعل هذه الفطرة تعود إلى سابق نقائها وصفائها، وما يجعل المنكر لوجود الله تعالى معترفاً بهذا الوجود المطلق، وعندئذ تتعانق الأدلة الشرعية السمعية مع الأدلة الكونية والعلمية لتشير كلها إلى هذه الحقيقة الكبرى في الوجود، وهي الإيمان بالله تعالى وتوحيده.

ولن نقف عند هذه الأدلة وعرضها، لئلا نخرج عما أردناه من إيجاز في هذا البحث، ولأن الرجوع إلى هذه الأدلة في مصادرها أمر في غاية اليسر والسهولة، وأصبح في متناول كل دارس.

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٠.

وحسبنا الإشارة هنا إلى إمكانية تصنيف هذه الأدلة إلى صنفين:

(الأول) الأدلة التي يمكن الوقوف عليها من خلال البحث والتفكير في الكون أو الطبيعة. وهي إما أن تدور حول المادة أو حول الحياة. و تحت شعبة المادة دليان هما: برهان الخلق أو السببية أو الحدوث. و برهان الغاية أو القصد والنظام. و تحت شعبة الحياة دليان آخران هما: برهان ظهور الحياة في المادة، وبرهان التناسل بين الأحياء لبقاء الحياة.

(الثاني) الأدلة التي يهتدي إليها الإنسان من خلال النظر و التفكير في نفسه وداخل أعماقه. و تحت هذا الصنف دليان أيضاً هما: برهان الاستكمال أو الاستقصاء أو المثل الأعلى، و برهان الأخلاق أو وازع الضمير^(١).

ثانياً- التوحيد وأنواعه:

التوحيد هو: اعتقاد أن الله تعالى واحد في ربوبيته، فلا رب سواه، وواحد في ألوهيته، فلا يستحق العبادة سواه، وواحد في أسمائه وصفاته، متفرد بصفات الكمال التي لا تنبغي إلا له، فلا شبيه له ولا نظير.

(١) انظر: دراسات في الفكر الإسلامي، د. عدنان زرزور، ص ٩١ - ١٠٧.

و التوحيد — بأوسع معانيه وبكل مقتضياته ومستلزماته — هو الذي فطر الله تعالى الخلق عليه. وقد نطق بذلك القرآن الكريم والسنة النبوية؛ ففيهما أن الله تعالى خلق الإنسان مؤمناً بربه، يتجه إليه — بفطرته — بالطاعة والعبادة، وأن غايته هي تحقيق العبودية والتوحيد.

وبذلك يكون الأصل في البشرية هو التوحيد، فقد كانت قضية توحيد الله — سبحانه — وإفراده بالألوهية، والعبودية له وحده بلا شريك، والخضوع له بلا منازع هي قضية الاعتقاد الأولى والحقيقية في جميع الرسالات السماوية على مدار العصور والقرون.

وقد قامت الأدلة الشرعية الصحيحة، والأدلة العقلية المنطقية الصريحة تؤيد هذا الواقع وتسند وتؤكد. وفيما يلي إشارة إلى بعض هذه الأدلة:

أولاً: حكى الله تعالى في القرآن الكريم أن أبا البشرية الأول — آدم عليه السلام — وذريته كانوا على التوحيد، يتبعون منهجاً إلهياً منزلاً إليهم من ربهم تبارك وتعالى، فهم أول البشر، يدينون بالتوحيد الخالص، وبذلك يكون التوحيد سابقاً للشرك، وليس تطوراً عنه:

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هَذَا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١)

وجاء الحديث عن هذا التوحيد والالتزام بمنهج الله تعالى وشرعه في القرآن الكريم بما لا مزيد عليه في الوضوح والبيان، يقرر أن البشرية الأولى كانت على التوحيد، لم تعرف الشرك والانحراف إلا بعد قرون، حينما انحرف القوم عن دين الله وتوحيده، فبعث الله تعالى لهم نوحاً — عليه السلام — يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده.

ثم تعاقب الرسل والأنبياء جميعاً: إبراهيم وإسماعيل، وإسحاق ويعقوب، وموسى وعيسى — عليهم السلام — يحملون دعوة التوحيد إلى أقوامهم، ويعبّدونهم لله ربهم، ويحملونهم على الالتزام بشرعه ومنهاجه، كي تستقيم حياتهم في الدنيا والآخرة، حتى بعث الله تعالى نبينا محمداً — ﷺ — خاتماً لهم، مجدداً لدعوة التوحيد، داعياً إليها، متمثلاً لها:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢).

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢ - ١٦٣.

وقد قرر الله تعالى هذه الحقيقة قاعدة عامة إجمالية، في دعوة كل الرسل — عليهم الصلاة والسلام — بعد أن حكاها تفصيلاً عن كل منهم بطريقة استقرائية — فقال:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(١)

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾^(٢).

ثانياً: وكلما كان الإنسان قريباً من النبع كان الماء أكثر صفاء ونقاء، وكلما ابتعد عن النبع وجد الماء أقل صفاء ونقاء، لما يطرأ عليه من الأذى وما يداخله من القذى، والشوائب التي تنصب فيه... وهكذا كانت البشرية الأولى على الفطرة والتوحيد لقرب عهدا برها تعالى، ثم اختلطت بعد ذلك الينابيع.. وتضافرت العوامل التي أدت إلى الانحراف عن التوحيد، فكان ظهور الشرك طارئاً بعد ذلك التوحيد، وكان انحرافاً عنه.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.

ثالثاً: لو كان هناك تطور حقاً — كما يقولون — لكان من الطبيعي والمنطقي أن يكون هذا التطور من الوحدة إلى الكثرة؛ لأن الواقع يدل على ذلك، فأنت عندما تبدأ بالعدّ والحساب — مثلاً — تبدأ بالواحد وتنتهي بما بعده من كثرة، وليس العكس.

الرد على نظرية التطور في الأديان:

ولعل هذه الإشارات السريعات فيها ما يكفي للرد على مزاعم أولئك النفر من الغربيين ومن تابعهم من المسلمين^(١)، الذين يدرسون تاريخ الأديان ويزعمون أن البشرية لم تعرف عقيدة التوحيد إلا بعد أن تطورت ومرت بمراحل، فكانت تعرف الشرك وتعدد الآلهة أولاً ثم ترقّت من ذلك إلى التوحيد، متأثرين في ذلك بنظرية التطور في أصل الأنواع التي ابتدعها «دارون»، ثم نقلوا الفكرة ذاتها إلى الدين، فأصبحوا يقولون بالتطور فيه.

وقد يظن بعض المسلمين أن في ذلك ترقياً للإنسان وتزكية للإسلام، لأنهم يزعمون أن البشرية لما كانت في حال من

(١) كالأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه «الله، كتاب في نشأة العقيدة الإلهية». وعبد الحميد زايد في كتابه «الشرق الخالد» حيث زعم أن التوحيد من اختراع العقل البشري وأنه تطور من الوثنية.. وانظر رداً على ذلك في «أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ» د جمال عبد الهادي، ص (٤٠) وما بعدها.

التأخر كانت تعبد آلهة متعددة، ولما ترقّت وتقدمت أصبحت تعبد إلهاً واحداً، فنشأت ديانات التوحيد. يظنون ذلك ويدافعون عنه، مع أنه — كما رأينا — يناقض نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ويخالف الواقع والمنطق والعقل.

أنواع التوحيد:

و التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع: أحدها: توحيد الربوبية، والثاني: توحيد الألوهية، والثالث: توحيد الأسماء والصفات. وهذه قسمة واقعية بيانية للتوحيد، فإن الكلام فيه إمّا أن يتعلق بالربوبية وتفرد الله تعالى بالخلق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير، وإما أن يتعلق بالألوهية وتفرد سبحانه بذلك، فهو صاحب الأمر والنهي والحكم، وهو الذي ينبغي أن نتجه إليه بالطاعة والعبادة، وإمّا أن يتعلق بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله - ﷺ - مما ينبغي له من الصفات العظمى والأسماء الحسنى.

وأصل هذا التقسيم نجده في كلام الأئمة من علماء السلف كالطبري وابن منّده وغيرهما. وهذه كلمة عن كل قسم منها.

(الأول) توحيد الربوبية:

و هو اعتقاد أن الله سبحانه وتعالى هو وحده ربُّ كل شيء ومالكة، وهو خالق كل شيء، هو خالق العباد ورازقهم، وهو

محييهم ومميتهم، وأنه سبحانه النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، والأمر كله له — سبحانه — وبيده الخير كله، وهو على كل شيء قدير، ليس له في ذلك شريك. ويدخل في ذلك أيضاً: الإيمان بالقدر.

ولا أظن عاقلاً يوقن في قرارة نفسه بأن هناك خالقاً أو مدبراً لهذا الكون غير الله سبحانه، أو أن هذا الكون لم يخلقه الله سبحانه؛ فإن الوحدة والتناسق في نظام هذا الكون دليل على وجود الله تعالى ووحدانيته.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد:

ولذلك جاءت الآيات القرآنية الكريكات توجه أنظارنا إلى هذا الكون وتناسقه لتبين لنا أن وراء هذا كله قدرة الله سبحانه وتعالى وإرادته:

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٥٩) **أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَلِيمٍ قَوْمٌ يَعِدِلُونَ** (٦٠) **أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَواسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرُهُمْ لَا**

يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ
وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذَكُورٍ
﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّحَ
بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذَكُورٍ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿١﴾

وقال الله تعالى:

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿٢﴾

ومن نور هذه المشكاة جاء حديث النبي ﷺ ودعاؤه الذي
يقول فيه: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك،
وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما
صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا
يغفر الذنوب إلا أنت» ﴿٣﴾.

(١) سورة النمل، الآية: ٥٩ - ٦٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٧٩.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب فضل الاستغفار برقم (٦٣٠٦).

وتوحيد الربوبية لا يتنافى مع ما جاء من تسمية المالك للشيء المتصرف فيه: ربًّا له، كأن نقول: فلان ربُّ الدار، أو ربُّ البيت.. فإن هذا يعني أنه هو صاحب هذا الشيء الذي جعل الله تعالى له حقَّ التملك والتصرف في ذلك الشيء المملوك، وهو يصلحه وينميهِ ويتعهده ويقوم برعايته، ولا يتنافى ذلك مع كون الله سبحانه وتعالى هو ربُّ كل شيء ومليكه. فهو إطلاق بمعنى خاص، لا بأس به في الشرع والعقل.

الإلحاد جهالة وسفاهة:

وإذا كان من البداهة والفطرة أن يقرَّ الإنسان بوجود الله سبحانه وتعالى ووحدانيته — على ما أسلفنا — لأن كل الأدلة تدل على ذلك، فإنه من السخافة والضلالة والجهالة أن يغمض الإنسان عينه أو يجعل عليها غشاوة لئلا تبصر الحق وتهتدي إليه، أو أن يلغي عقله ويطمس على بصيرته ويخالف فطرته، فينكر وجود الله سبحانه، وينسب الخلق إلى ما أسماه بعضهم: الطبيعة أو التفاعل الذاتي أو المصادفة.. كما يفعل الملحدون وأضرابهم من السفهاء.

صور من الإخلال بتوحيد الربوبية:

ولئن اضمحلت تلك الموجة الإلحادية -التي اتسعت دائرتها في أوروبا لظروف خاصة- فإننا لا نزال نجد في كثير من

بقاع المسلمين صوراً وألواناً من الإخلال بتوحيد الربوبية. نجدها عند أولئك الذين يزعمون أو يظنون أن أحداً من البشر، كالأقطاب والأبدال.. عند الصوفية، لهم نوع من القدرة والتصرف في هذا الكون، أو أن هذا الكون يُحفظ بهم! أو أن الأولياء في قبورهم يستطيعون أن ينفعوا أحداً بشيء، كالشفاء من المرض، أو تيسير حاجةٍ مَّا من حاجات الناس، ولذلك تراهم يطوفون حول قبورهم، ويدعونهم من دون الله أو مع الله، ويستغيثون بهم ويستجيرون، ويقدمون لهم النذور والقرايين!!..

ولا يبعد عن هؤلاء أولئك الذين يخضعون خضوعاً تاماً لأشياخ الطرق الصوفية ويكونون بين أيديهم كالميت بين يدي الغاسل!! فإنهم وإن كانوا يقولون: إن الله هو الخالق الرَّازق المدبّر لهذا الكون المتصرف فيه، فواقع حالهم يشير إلى أنهم لم يَقْدِرُوا الله حقَّ قَدْرِهِ، وأنهم يعظّمون هؤلاء الأموات أو المشايخ أكثر مما يعظّمون الله تعالى!

فلنحذر الوقوع في أي شائبة من شوائب الشرك، ولنحافظ على هذه العقيدة نقية صافية، وليكن الله تعالى دائماً — وحده — وجهتنا و معبودنا، ولنقل مع أبي الأنبياء خليل الرحمن، إبراهيم عليه الصلاة والسلام:

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١)

(الثاني) توحيد الألوهية:

وتوحيد الألوهية أو العبودية هو: إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، بمعنى: أن يُعْبَدَ الله سبحانه وتعالى وحده، ولا يُشْرَكَ معه في عبادته أحد من خلقه، لأنه وحده المستحق لأن يُعْبَدَ.

وهو مَبْنِيٌّ على إخلاص العمل كله والتوجه به لله سبحانه وتعالى وحده دون سواه، سواء كان هذا العمل من أعمال القلوب أو من أعمال الجوارح.

وأساس ذلك أن تعلم أن هناك ألوهيةً وعبودية، فالله سبحانه وتعالى هو الرب القوي القادر، الغني الواسع، العزيز الحكيم الرازق المحيي المميت.. المتفرد بكل صفات الكمال، وهو الإله الحاكم المشرّع، الذي ينبغي أن يتوجه إليه جميع الخلق بالعبادة، وأما الإنسان، فهو مخلوق لله سبحانه، وهو عاجز ضعيف، رغم كل ما منحه الله تعالى من المواهب والمَلَكَاتِ، وهو خاضع عابد بطبعه، إن لم يكن عابداً لله تعالى فإنه سيعبد غير الله، ويقع في عبودية غير الله تعالى، فهو إن لم

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧٩.

يكن عبداً لله كان عبداً لغير الله. فالصلة بين العبد وربّه تبارك وتعالى هي صلة العبودية بالربوبية، وتحقيق ذلك يكون بالتوجه إلى الله تعالى وحده بالأعمال والقصد، وهو توحيد الألوهية كما سبق بيانه.

منهج القرآن في الدعوة إلى توحيد الألوهية:

وقد سلك القرآن الكريم في بيان حقيقة هذا التوحيد ولوازمه ومقتضياته مسالك شتى:

١ - فهو قد أمر به مباشرة، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

٢ - ثم ناقش شبهات المشركين وردَّ عليهم ما ادَّعوه من الأسباب التي أوقعتهم في الشرك، وبيّن حقيقة الشرك الذي وقع فيه المشركون، وأنه هو شرك العباداة أو شرك الطاعة والاتباع، والتحليل والتحريم من دون الله تعالى.. ومن خلال هذه المناقشات رسم القرآن الكريم الصورة الصحيحة الصادقة للتوحيد.

٣ - ثم ذكر الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين طريق العبادة الصحيحة، التي ينبغي أن يكون المسلم عليها أو يقوم بها، ووجَّه نظره إلى التفكُّر فيما بثَّ سبحانه من آيات ودلائل تقوده إلى الخضوع لله سبحانه.

٤ - ثم ذكر سبحانه وتعالى في كتابه ما أعدَّه لعباده المؤمنين من صور النعيم والثواب في الجنة، لمن يحقق هذا التوحيد، وبالمقابل رسم صورة قائمة للعذاب المهين الأليم لكل من يخالف هذا التوحيد.

تحقيق هذا التوحيد:

وأما تحقيق هذا التوحيد، فإنه يكون بالتوجه لله تعالى وحده، وإفراده بكل أنواع العبادة، والبراءة من كل ما يُعبد من دون الله، فينبغي أن يتجه بالعبادة كلها له وحده سبحانه، سواء كانت عبادة اعتقادية أو قلبية أو بدنية أو مالية، وأن يخلصها كلها لله سبحانه وتعالى.

(الثالث) توحيد الأسماء والصفات:

وهو اعتقاد أن لله تعالى أسماء وصفات وصف نفسه بها في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ نفيًا وإثباتًا فيثبت له ما أثبت له رسوله عليه السلام وما أثبت له نفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} واحد في أسمائه وصفاته، متفرد بصفات الكمال التي لا تنبغي إلا له، فلا شبهة له ولا نظير.

وإذا كانت الحكمة هي: وضع الأمور في مواضعها. فإن أول ما ينبغي أن يتبادر إلى الذهن في هذا المجال: أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى الإنسان ووهبه جملة من المواهب والملكات والإمكانات، وزوّده بأدوات العلم والمعرفة، لتساعده على تحقيق وظيفته وغايته في هذه الحياة، كما أراد الله سبحانه وتعالى. وكل أداة أو وسيلة ينبغي أن تستخدم فيما أُعدت له، وإلا فإن من يفعل غير ذلك يكون قد سَفِهَ نفسه وعقله.

أرأيت إنساناً يستخدم عينه ليتعرف بها على رائحة شيءٍ مَّا؟
أو يستخدم أنفه ليبصر ما أمامه من موجودات..؟

إنك لو رأيت من يفعل ذلك لحسبته مجنوناً، وكذلك فإن
لكل أداة من أدوات العلم والمعرفة مجالاً تعمل فيه و طاقة
محدودة لها تتناسب معها ومع قيمتها.

ولذلك يخطئ كثير من الناس عندما يريدون أن يجعلوا
عقولهم حَكَمًا في كل شيء، حتى فيما لا يستطيع العقل أن يعمل
فيه أو يفكر، لأنه لو فعل ذلك لن يصل إلى شيء، لأن العقل لم
يُخلَق لهذا الذي أقحمه صاحبه فيه، وما هو بقادر على أن يصل
إلى ما يريد.

فلو راح الإنسان يتعرف على عالم الغيب؛ بحقيقته
وموجوداته وطبيعته.. فهل تراه يصل إلى شيء من العلم بعقله
مجرداً عن الوحي؟

لو راح يفكر في ذات الله سبحانه وتعالى ليتعرّف عليها أو
يحيط بها، فهل يصل إلى الحق؟

إن العقل أعجز من أن يستطيع ذلك كله أو بعضه، وكلُّ من
حاول هذا ضربٌ في بידاء التَّيه والضياع، وضلَّ عن سواء
الطريق، ولم يعد بعد الحيرة والضلال إلا بالخيبة والندم.

أدلة الأسماء والصفات:

وقد تكفل سبحانه وتعالى، فعرفنا بأسمائه الحسنی وصفاته العظمى، عن طريق وحيه المنزل، ثم عن طريق رسله، عليهم الصلاة والسلام، لأنهم أعلم الخلق بالله سبحانه وتعالى، ولذلك قال الله عن نبيه محمد ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١).

ويبقى دور العقل هنا أن يتلقى النصوص الشرعية من الوحي ليفهم ما تتضمنه هذه النصوص من معاني أسماء الرب سبحانه وصفاته. وإذا كان الرب — سبحانه وتعالى — أعلم بنفسه من خلقه وأصدق قيلاً، ومنهجه أهدى سبيلاً، وكان رسوله المبلّغ عنه كذلك أعلم به، وبما يجب له، وبما يمتنع عليه، من كل أحد، وهو أقدر الناس على بيان ذلك، وأحرصهم على هداية الخلق إليه، فلا يجوز التعويل — إذن — في إثبات الصفات والأسماء لله سبحانه وتعالى، أو نفي ما يُنفى، على غير الكتاب والسنة.

فالأدلة التي تثبت بها أسماء الله تعالى وصفاته، هي: كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، الثابتة عنه، فلا تثبت أسماء الله تعالى وصفاته بغيرهما.

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.

طريقة إثبات الأسماء والصفات:

ولذلك يؤمن المؤمن بكل ما أثبتته الله تعالى لنفسه من الأسماء والصفات، وما أثبتته له رسوله - ﷺ - من غير تكيف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تأويل.

وقد بين الله تعالى أن له أسماءً حسنى قد بلغت الغاية في الحسن والجمال والكمال، فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١).

كما بين أن له صفاتٍ عليا تليق بجلاله وعظمته، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢).

وكل ما ثبت عن الله تعالى من الأسماء والصفات، فإنه لا يماثل فيه شيئاً من صفات خلقه، ولا يماثله شيء من ذلك، فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٣).

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٢) سورة غافر، الآية: ٢٠.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

وقال أيضاً في سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١
 اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
 كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(١).

اتفاق في الاسم لا في المسمى:

وحتى لو اتفقت الصفات في أسمائها، فإن صفات الله تعالى
 تختلف عن صفات المخلوقين، فالاتفاق في الأسماء لا يقتضي -
 الاتفاق في المسميات، فقد سَمَّى الله تعالى نفسه، حَيًّا، عَلِيمًا،
 قَدِيرًا، رُؤُوفًا، رَحِيمًا، عَزِيزًا، حَكِيمًا، سَمِيعًا، بَصِيرًا، مُلْكًا،
 مُؤْمِنًا، جَبَارًا، مُتَكَبِّرًا.. وقد سَمَّى بعض عباده بهذه الأسماء،
 كقوله تعالى:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا
 بَصِيرًا﴾^(٢).

وكقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْبِ وَالنَّوَى ۝١ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ
 وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ ۝٢ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَآتَىٰ يُؤَفِّكُونَ﴾^(٣)
 ومعلوم: أنه لا يماثل السميع السميع، ولا الحيُّ الحيَّ.

(١) سورة الإخلاص: ١ - ٤.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٥.

وصفات الله تعالى هي على ما يليق بجلاله وعظمته، فليس لأحد أن ينفي صفة منها بحجة أنه ينزه الله تعالى، لأنه — بزعمه — لو أثبت هذه الصفة لكان مشبهاً له بالمخلوقين، مع أنه يثبت له صفة أخرى غيرها، ولا يقول: إن هذه الصفة لله سبحانه وتعالى تشبه صفة المخلوقين، فالله سبحانه أخبر عن نفسه بصفات مدح فيها نفسه، وهو سبحانه وتعالى أعلم بنفسه، فقال سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

فهل لأحد أن ينفي شيئاً من هذه الصفات الدالة على الكمال والجلال؟.

القول في الصفات كالقول في الذات:

إن القول في صفات الله تعالى كالقول في ذات الله سبحانه وتعالى، فإن الله سبحانه ليس كمثله شيء في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات، فالذات

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

متصفة بصفات حقيقية لا تماثل سائر الصفات.

وإذا كانت نصوص الصفات في ظاهرها معلومة لنا باعتبار المعنى، فهي غير معلومة لنا باعتبار الكيفية التي هي عليها.

القول في بعض الصفات كالقول في بعض:

وإذا عرفنا ذلك فإننا ينبغي أن نعرف أصلاً آخر وهو أن: القول في بعض الصفات كالقول في بعض، فكما أننا يجب أن نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى: عليم حكيم، حيٌّ، قادر.. الخ وهذه كلها صفات حقيقية، كذلك نؤمن بمحبة الله ورضاه، وغضبه وكراهته، حقيقة لا مجازاً، فكما أن حياة الله تعالى لا تشبه حياة المخلوقين.

وكما أن علم الله سبحانه وتعالى لا يشبه علم المخلوقين، فكذلك غَضَبُ الله ورضاه.. كل هذا لا يشبه غضب المخلوقين ورضاهم، فينبغي الإيمان بالصفات كلها على ما يليق بالله سبحانه وتعالى.

والمؤمن أعقل من أن يتورط فيما ليس من شأنه، وأن يتعمق فيبحث الكيفية. فينبغي أن يقطع الأمل في معرفة الكيفية. وما أصدق ما قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله، حين سئل عن الاستواء، فقال:

«الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»^(١).

إن لله تسعة وتسعين اسماً:

وبعد هذه اللمحات الموجزة السريعة عن توحيد الأسماء والصفات، نشير إلى الحديث الذي يخبر فيه النبي ﷺ عن عدد الأسماء الحسنى ويشر من يحصيها بدخول الجنة، فيما رواه أبوهريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة»^(٢).

والحديث يتضمن مسألتين:

(أولاهما): أن لله تعالى أسماء حسنى، بلغت الغاية من الحسن والكمال، وأن من أحصى منها تسعة وتسعين اسماً دخل الجنة. وليس المراد بالحديث حصر الأسماء الحسنى في هذا

(١) أخرجه البيهقي: «في الأسماء والصفات»: ١٥٠/٢، ١٥١، واللالكائي في

«شرح أصول الاعتقاد»: ٣٩٨/٢. وانظر: «فتح الباري»: ٤٠٦/١٣، ٤٠٧.

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد: ٣٧٧/١٣ وفي الشروط والدعوات ومسلم في

الذكر والدعاء: ٢٠٦٢/٤، وساق الترمذي في روايته للحديث عدة

الأسماء، وكذلك ابن ماجه وابن حبان. وانظر: «فتح الباري» لابن حجر:

٢١٤/١١ - ٢٢٠، «تلخيص الحبير»: ١٧٢/٤ - ١٧٤.

قال البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٢/١): ويحتمل أن يكون التفسير - أي

سياق الأسماء التسعة والتسعين في الحديث عند الترمذي وغيره - وقع من

بعض الرواة.

العدد، وليس فيه نفي ما عداها من الزيادة عليها، وإنما وقع التخصيص بالذكر لهذه الأسماء لأنها أشهر الأسماء، وأبينها معاني وأظهرها، وذلك أن الصيغة ليست من صيغ الحصر - والقصر، وجملة قوله عليه السلام «إن لله تسعة وتسعين اسماً» جملة واحدة، أو قضية واحدة لا قضيتان، ويكون تمام الكلام في خبر «إن» في قوله: «من أحصاها دخل الجنة».

فالمراد: الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء. فهو بمنزلة قولك: إن فلان ألف درهم أعدّها للصدقة. وهذا لا يدل على أنه ليس عنده من الدراهم أكثر من ألف درهم، وإنما دلالتة: أن الذي أعدّه فلان من الدراهم للصدقة ألف درهم.

والذي يدل على صحة هذا الفهم لمعنى الحديث أمور:

أ - حديث عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قال عبد قطّ إذا أصابه همٌّ أو حزنٌ: اللهمّ إني عبدك ابنُ عبدك، ابنُ أمّتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك. أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم

الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري وجلاء
حزني وذهاب همّي، إلا أذهب الله همّه»^(١).

فجعل أسماء ثلاثة أقسام: قسم سمّي به نفسه فأظهره لمن
شاء من ملائكته أو غيرهم، ولم ينزل به كتابه، وقسم أنزل به
كتابه فعرفه عباده، وقسم استأثر به في علم غيبه فلم يطّلع عليه
أحد من خلقه. وهذا يدل على عدم الحصر بالتسعة
والتسعين.

وبهذا المعنى جاءت أحاديث أخرى كحديث الشفاعة:
«يفتح عليّ من محامده بما لا أحسنه الآن»^(٢)، وحديث «لا
أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»^(٣).

ب - أن الروايات التي جاء فيها إحصاء الأسماء التسعة
والتسعين متعددة، وفي بعضها أسماء ليست في الأخرى،

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند»: ٣٩١/١، ٤٥٢، وصححه ابن حبان ص
(٥٨٩) «من موارد الظمآن» والحاكم: ٥٠٩/١ على شرط مسلم وقال: «إن
سلم من إرسال عبدالرحمن بن عبدالله عن أبيه..» وقال الذهبي:
«أبوسلمة لا يُدري من هو، ولا رواية له في الكتب الستة، وأخرجه
أبويعلى في «المسند» ١٣٦/٥.

(٢) قطعة من حديث الشفاعة، أخرجه البخاري في الأنبياء: ٢٦٤/٦، ٢٦٥،
ومسلم في الإيمان ١٨٤/١، ١٨٥.

(٣) قطعة من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه مسلم في كتاب الصلاة:
٣٥٢/١.

وعدتها تسعة وتسعون، فإذا ضمت الأسماء في كل رواية إلى ما زاد عليها في الروايات الأخرى فإنها تزيد عن تسعة وتسعين اسماً.

ج - أن أكثر هذه الأسماء التي وردت في الروايات صفات لله تعالى، وصفات الله لا تنتهى.

(والمسألة الثانية) هي إحصاء هذه الأسماء.

وفي معنى الإحصاء المراد في الحديث أوجه أربعة:

أحدها: أنه بمعنى العدّ، يريد: أنه يعدّها ليستوفيها حفظاً فيدعوها ربّه، كقوله سبحانه: ﴿وَاحْصِي كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(١).

الوجه الثاني: أن يكون الإحصاء بمعنى الطاقة، كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾^(٢).

و الوجه الثالث: أن يكون الإحصاء بمعنى التعقل والمعرفة، فيكون معناه أن من عرفها وعقل معانيها وآمن بها دخل الجنة.

(١) سورة الجن، الآية: ٢٨

(٢) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

والوجه الرابع: أن يكون معنى الحديث: أن يقرأ القرآن حتى يخرجه فيستوفي هذه الأسماء كلها في أثناء التلاوة. فكأنه قال: من حفظ القرآن وقرأه فقد استحق دخول الجنة. ولعل هذه الوجوه كلها مجتمعة هي المرادة بالإحصاء، فكأنها مراتب:

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

والمرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

والمرتبة الثالثة: دعاؤه سبحانه وتعالى بها، وهو مرتبتان:

إحداهما: دعاء ثناء وعبادة،

والثاني: دعاء طلب ومسألة.

فلا يثنى عليه سبحانه إلا بأسمائه الحسنی وصفاته العلى، وكذلك لا يُسأل إلا بها، فيسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب فيكون السائل متوسلاً إليه سبحانه بذلك الاسم ومتعبداً له به^(١).

(١) انظر فيما سبق بالتفصيل: «شأن الدعاء» للخطابي ص (٢٤ - ٣٠)، «بدائع الفوائد» لابن القيم: ١٦٤/١ - ١٦٦، «درء تعارض العقل والنقل» = ٣٣٢/٣، «فتح الباري»: ٢١٤/١١ - ٢٢٨، «تلخيص الحبير» لابن حجر: ١٧٤/٤، ١٧٥، «الأسماء والصفات» للبيهقي: ٣٠/١ - ٣٣، «شرح النووي على صحيح مسلم»: ٥/١٧، ٦، «الفتوحات الربانية على الأذكار النووية» لابن علان: ١٩٩/٣ - ٢٠٣، «تحفة الأحوذى» للمباركفوري: ٤٨٢/٩ - ٤٨٩، «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» لملا علي القاري: ٧٢، ٧٣/٥، «لوامع الأنوار البهية» للسفاري: ١٢٧/١، «تفسير ابن كثير» ٥١٦/٣، ٥١٧.

منهج دراسة الأسماء والصفات وآثاره:

وعندئذ يكون المؤمن قد تعرّف على الله تعالى معرفة صادقة من خلال معرفته للأسماء والصفات التي أخبرنا الله تعالى بها، كي نؤمن بها وكي نتعرف على الله من خلالها، وندعوه بها، ليكون لها أثرها في السلوك الفردي والاجتماعي.

فعندما نتعرف على الله الخالق و الرازق والقوي القادر، لا نطلب الرزق إلا منه، و لا نخضع إلا لقدرته.

و عندما نتعرف على الله العليم الحكيم نسلّم له الأمر كله، ونوقن بأن كل أمر أو نهي إنما جاء حكمة ومصلحة لنا.

وعندما نعرف أنه متفرد بالخلق والأمر فإننا نخضع لأمره وحكمه، لا نتحاكم إلا لشرعه.

وعندما نتعرف عليه سميعاً بصيراً تمتلئ نفوسنا تقوى وخشية له -سبحانه- ومراقبة...

وأما ما وراء ذلك من أبحاث الفلاسفة والمتكلمين عن الصفات وعلاقتها بالذات وكيفية قيامها بها... إلخ، هذا كله مما لا طائل تحته ولا فائدة ترجى منه، بل هو مزلة أقدام ومضلة أفهام.

و نسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العظمى أن يشبّتنا على الحق والهداية.

المطلب الثاني: الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة - عليهم السلام - هو الركن الثاني من أركان الإيمان، جاء تالياً للإيمان بالله وسابقاً على الإيمان بالكتب والرسل، كما جاء في سورة البقرة وفي حديث جبريل - فيما تقدم آنفاً - فلا يتم إيمان المرء إلا بأن يعتقد اعتقاداً جازماً بوجود الملائكة وبما أخبر الله تعالى عنهم من طبيعة خلقهم وصفاتهم ووظائفهم، وبما جاء عنهم في صحيح الأحاديث النبوية، فمن جاء ذكره منهم في القرآن والسنة نؤمن بهم تفصيلاً، ونؤمن بما عداهم إجمالاً.

وغني عن البيان أن الإيمان بالملائكة إنما هو إيمان بالغيب الذي هو أصل العقيدة الإسلامية. و الإيمان بالغيب طريقه النصوص الشرعية والآثار التي تدلّ عليه، فهو لا يخضع لحكم الحواس أو العقل؛ إذ أن العقل والحواس مصدران لمعرفة عالم الحسّ والشهادة، ولا مجال لهما للعمل في عالم الغيب^(١).

ولهذا فلا سبيل للتعرف على الملائكة إلا الخبر الصادق وهو الوحي (قرآناً وسنةً)، كما أن هناك آثاراً تدل على وجودهم، فالملائكة تنزل بالوحي على الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(١) انظر بالتفصيل: ((عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي))، عثمان جمعة ضميرية، ص (٢١) وما بعدها.

وقد حدّثنا القرآن الكريم والسنة النبوية حديثاً مستفيضاً عن الملائكة؛ بياناً لطبيعتهم وخلقهم، وإجمالاً لوظائفهم وأعمالهم، وعلاقتهم بالكون وبالإنسان، ومن خلال هذا كله يأتي الردُّ على شبهات المشركين الذين جعلوا الملائكة شركاء لله فعبدوها مع الله أو من دون الله، أو جعلوها ذرية وبنات لله - تعالى الله عن ذلك - كما أن هذا الحديث والبيان فيه ردُّ على تصورات الفلاسفة وأهل المذاهب المنحرفة في تصورهم للملائكة بأنهم مجرد عبارة عن تصورات الله^(١).

ويمكن أن نجمل ما جاء عنهم في القرآن والسنة بأنهم مخلوقات نورانية غيبية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، ولهم قوة وقدرة خارقة، يقومون بوظيفتهم في طاعة الله والامتثال لأوامره، فهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وهذه الجملة الموجزة تتضح بالبيان التالي.

(١) انظر: ((الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها)) للمودودي، ص (١٥٩ -

صفات الملائكة:

وأول هذه الصفات هو ما يتعلق بطبيعتهم وخلقهم فقد جاء في حديث عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - ﷺ - قال: ((خُلِقَتِ الملائكة من نور، وُحِّلَ الجانُّ من مارجٍ من نار، وُحِّلَ آدمُ مما وصف لكم))^(١).

وحسبنا هذه المعرفة الإجمالية عن مادة خلقهم دون البحث في الكيفية التي لا نملك دليلاً عليها.

وهم بذلك يتميزون عن عالم الجن والإنس، ولا يقاسون على هذين العالمين، ولذلك فهم لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، فقد قال الله سبحانه وتعالى رداً على مزاعم الكافرين الذين قالوا إن الملائكة إناث وأنهم بنات الله:

﴿ فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَّكَ الْأَبْنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ ١٤٩ ﴿ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴾ ١٥٠ ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهَمْ يَقُولُونَ ﴾ ١٥١ ﴿ وَلَدَّ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ ١٥٢ ﴿

وهم لا يأكلون ولا يشربون، فلما قدّم إبراهيم عليه السلام - لهم الطعام، وقد جاؤوه بصورة ضيوف من البشر

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق: ٢٢٩٤/٤.

(٢) سورة الصافات، الآيات: ١٤٩ - ١٥٢

﴿ فَلَمَّا رَأَوْا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ ^(١).

ولهم قدرة على التشكل بالأشكال المختلفة والتمثل بصورة البشر، كما في قوله تعالى في قصة مريم:

﴿ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ ^(٢).

وفي الأحاديث النبوية الشريفة نصوص كثيرة تدل على قدرتهم على هذا التشكل، ومنها ما تقدم في حديث جبريل في أول المبحث.

ولهم قدرات وقوة خارقة وأجنحة:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَئِكَ أَجْنَحٌ مِثْنَى وَثُلَاثٌ وَرُبْعٌ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(٣).

(١) سورة هود، الآية: ٧٠.

(٢) سورة مريم، الآية: ١٧.

(٣) سورة فاطر، الآية: ١.

وظائف الملائكة:

الملائكة عباد الله تعالى خاضعون له، يقومون بأمر الله فيما كلفهم به وفيها خلِقوا له؛ وقد أخبر الله تعالى عنهم وبين وظائفهم:

١- فهم في طاعة وتسبيح وعبادة دائمة لا تنقطع: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١٩) ﴿يَسْبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (١).

﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٢).

٢- وينزلون بالوحي على الرسل والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- فقد قال الله عن ملك الوحي جبريل:

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (١١٣) ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ (١١٤) ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (٣).

٣- ويقومون بأعمال ووظائف تتعلق بالإنسان، كالاستغفار للمؤمنين وتسجيل أعمال البشر، وقبض أرواحهم، كما في قوله تعالى:

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٩ - ٢٠.

(٢) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٣ - ١٩٥

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَنفِقَكُم مِّلْكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾^(٢).

ومن أعمالهم أيضا أمور أخرى كالنفخ في الصور، ثم في الآخرة الترحيب بالمؤمنين في الجنة، وتعذيب الكافرين في النار...

وأعمال أخرى تتصل بأمور في هذا الكون على أحد الوجوه في تفسير بعض الآيات الكريمة.

(١) سورة غافر، الآية: ٧.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١١.

المطلب الثالث: الإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب السماوية المنزلة على الرسل و الأنبياء -
عليهم الصلاة والسلام- هو الركن الثالث من أركان الإيمان.
وهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإيمان بالله تعالى منزل الكتاب
ومُرسل الرسول.

ومرتبط كذلك بالإيمان بالرسل -عليهم السلام- الذين
أنزل الله تعالى عليهم الكتب.
ومرتبط بالإيمان بالملائكة من النزول بالوحي إلى الأنبياء
والرسل.

فيجب أن نؤمن بكل ما أنزل الله تعالى من كتاب إجمالاً، كما
نؤمن بالكتب التي جاء ذكرها في القرآن الكريم تفصيلاً.
وقد قامت الأدلة على هذا الركن، وقد سبقت الإشارة
إليها، وهي تجمع كل أركان الإيمان.

والكتب السماوية السابقة التي ذكرها الله تعالى في القرآن
الكريم هي صحف إبراهيم، والتوراة، و الزبور، والإنجيل،
فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (١٨) **صُحُفِ**
إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١).

وقال عن التوراة التي أنزلها على موسى عليه السلام:

(١) سورة الأعلى، الآيتان: ١٨ - ١٩.

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ
الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا
مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ
وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ
اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾^(١)

وقال عن الزبور الذي أنزله على داود:

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ
وَعِيسَى وَآيُوبَ وَيُوشَعَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ
زَبُورًا ﴾^(٢)

وقال عن الإنجيل الذي أنزله على عيسى عليه السلام:

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى عَآئِثِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
وَأَتَيْنَاهُ بِالْإِنْجِيلِ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً
وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا
رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ
فَسَقُوفُونَ ﴾^(٣)

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٣.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٧.

ثم ختم الله تعالى الكتب بالوحي المنزل على نبيا محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو القرآن الكريم، فقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١).

وأصبح ﴿الْكِتَابُ﴾ اسم علم على القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد - ﷺ -.

ويجب الإيمان بالكتب السابقة في أصولها المنزلة على الرُّسل والأنبياء - عليهم السلام -.

وأما من حيث الاتِّباع والطاعة أو العمل والالتزام بما فيها، فلا بدَّ من معرفة أن تلك الكتب منسوخة، بالقرآن الكريم، فلا يجوز اتِّباعها والعمل بما فيها بعد نزوله، وذلك لوجوه كثيرة، أهمها أن تلك الكتب إما أنها لا توجد اليوم أصلاً، وإما أنها قد لعبت بها أيدي التحريف والتبديل، فهي ليست محفوظة كما أنزلت، وهذا يُفقدنا الثقة بما فيها، وإن كان لا يعنى أن كل ما فيها أصبح باطلاً، بل قد نجد أثراً لما اتَّفقت عليه الشرائع والرسالات.

وقد أخبر الله تعالى عن تحريف الكتب السابقة فقال: ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونِ السِّنْهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ

(١) سورة يوسف، الآية: ٢.

وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١﴾.

وهم قد كتبوا كلاماً ونسبوه إلى الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٢).

واتخذ هذا التحريف ألواناً وصوراً، وتنوع أنواعاً كثيرة، فكان منه تحريف لمعاني الكتاب ودلالة نصوصه، وتحريف لألفاظه بالزيادة فيها أو النقصان، أو بالكتمان لبعض ما فيها (٣). أما القرآن الكريم: فقد تكفل الله تعالى بحفظه، وهياً الأسباب لذلك. فهو الكتاب الوحيد الذي نقرأه كما أنزل على نبينا محمد - ﷺ -: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٤). وجعله مهيمناً على ما سبقه وناسخاً للكتب السابقة:

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٩.

(٣) انظر: ((الفصل في الملل الأهواء والنحل)) لابن حزم: ٤/٢ وما بعد، ((إظهار الحق)) للشيخ رحمة الله العثماني: ٤٢٥/٢ - ٦٢٥، ((مذاهب فكرية معاصرة)) للأستاذ محمد قطب ص (٩ - ٢٤).

(٤) سورة الحجر، الآية: ٩.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ
الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً ﴿١﴾﴾
وهو كلُّ الشريعة وعُمدة الملة، وآية النبوة والرسالة،
وطريق الهداية.

(١) سورة المائدة، من الآية: ٤٨.

المطلب الرابع: الإيمان بالرسل

الإيمان بالرسل والأنبياء هو الركن الرابع من أركان الإيمان، فلا يتم إيمان المرء حتى يؤمن بجميع ما أرسل الله تعالى من الرسل إجمالاً، ويؤمن بمن جاء ذكرهم في القرآن الكريم والسنة النبوية بأعيانهم، دون التفريق بينهم في الإيمان ولذلك كان الكفر بواحد منهم كفراً بهم جميعاً، وكفراً بالله تعالى، لأن فيه تكديبا لله سبحانه الذي أرسلهم. قال تعالى:

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾^(١).

وحاجة البشر إلى الرسالة والنبوة لا تعدلها حاجة أخرى، فإن الرسل —عليهم السلام— هم الذين يعرفوننا بالله سبحانه وتعالى معرفة صحيحة صادقة، ويعرفوننا بكيفية العبادة والمنهج الذي ينبغي علينا اتّباعه، وهم الذين يقومون بتربية الأمة وتهذيب النفوس والأخلاق، لتكوين المجتمع المثالي الفاضل، وهم القدوة الحسنة والمثال الذي نحتذيه، وما من

(١) سورة النساء، الآيتان: ٥٠ - ٥١

خير في هذه الدنيا إلا وهم سببه والطريق الموصل إليه، وبهم تقوم الحجة على البشرية.

ولذلك اقتضت حكمة الله تعالى أن يختار من الناس رسلاً من أنفسهم، فيفضل عليهم بإنزال الوحي الذي يبلغونه للناس، لأن النبوة منحة وهبة من الله تعالى، لا ينالها الإنسان بكسبه أو تطلعه إليها، وإن كانت لا تكون إلا لمن علم الله أنه أهل لذلك: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(١).

وهذا يعني أن الرسل -عليهم الصلاة والسلام- يتصفون بصفات الكمال البشري؛ فإنهم وإن كانوا بشراً يطرأ عليهم ما يطرأ على البشر، لكنهم يتميزون بنزول الوحي عليهم، فقد أخبر الله تعالى عنهم، فقال عن نبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٢).

وقد عصمهم الله تعالى من الخطأ فيما يوحى إليهم وعن الوقوع في الكبائر من الذنوب، لأنهم القدوة الصالحة في كل مجال وعلى كل مستوى.

(١) سورة الأنعام، من الآية: ١٢٤.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

وقد تمثلت فيهم الأخلاق الفاضلة والصفات العالية التي تدل على كمالهم، وتدل أيضاً على صدقهم في النبوة، إضافة إلى دلائل صدقهم الأخرى كالمعجزات والإخبار عن سيأتي منهم ويبعث، وغير ذلك من آيات النبوة والرسالة^(١).

ومن أصول الإيمان بالرسول: أن نؤمن بأنه ما من أمة إلا وقد بعث الله فيها رسولاً، وأنهم قد جاؤوا كلهم بدين واحد من عند الله تعالى هو الإسلام بمعناه العام، ويشمل أصول الإيمان وأركانه، وأصول الشرائع كالأمر بعبادة الله تعالى وحده، و برّ الوالدين وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، وتحريم الإثم والبغي... وأصول العبادات.

وإنما الذي يختلف من دعوة نبي لآخر إنما هو شريعته في الأمر و النهي، والتخفيف والشدة في بعض الأحكام، وفي شمولها لم يكن منصوباً عليه في شريعة سابقة، وفي صور بعض العبادات والأحكام الفرعية.

وهذا كله يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ

(١) انظر بالتفصيل: "الحضارة الإسلامية" لأبي الأعلى المودودي ص (١٦٧) وما بعدها "نظام الإسلام" للمبارك ص (٧١) وما بعدها، "الرسل والرسالات" د. عمر الأشقر، "النبوة والأنبياء" لأبي الحسن الندوي.

يَنبَهُهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلَفُونَ ﴿١﴾

وفي الحديث المتفق عليه: ((الأنبياء إخوة لِعَلَات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد))^(٢).

ومن أصول الإيمان بالرسول عليهم السلام: أن نؤمن بما اختصَّ الله به نبيِّنا محمداً - ﷺ -، فقد قضت حكمة الله تعالى وإرادته أن تختتم رسالات السماء برسالته، فلا رسالة بعد رسالته ولا نبي بعده: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٣). وفي الصحيح قال رسول الله - ﷺ -: ((فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ))^(٤).

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٢) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء: ٤٧٨/٦، ومسلم في الفضائل: ١٨٤٧/٤.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب المساجد: ٣٧١/١.

وقال عليه الصلاة والسلام: ((مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْبَجُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ؟ فَأَنَا اللَّبْنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ))^(١).

وهذا يقتضي أن تكون دعوته - عليه الصلاة والسلام - للناس جميعا لا تحاطب أقواما بأعيانهم ولا جنسا بذاته، وإنما يتوجه فيها الخطاب للناس جميعا الإنسانية العامة، فقال سبحانه وتعالى على لسان نبيه - ﷺ - فيما أمره بالبلاغ:

﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٢).

ولذلك جعل الله القرآن نذيراً للعالمين جميعاً، فقال:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٣).

وأكمل الله تعالى هذه الرسالة وأتم بها النعمة ورضيها لنا ديناً، وجعلها ظاهرة على الأديان كلها، فقال سبحانه: ﴿الْيَوْمَ

(١) أخرجه البخاري في المناقب: ٥٥٨/٦، ومسلم في الفضائل: ١٧٩٠/٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ١.

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ
دِينًا ﴿١﴾

ولهذا لا يقبل الله تعالى من الناس ديناً سوى الإسلام، فإنه
كلمة الله الأخيرة للناس، والدين الحق الذي نسخ به سائر
الأديان، وجعله مهيمنا عليها^(٢). فقال سبحانه:

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٣﴾

ولذلك تكفل الله تعالى بحفظ هذا الدين عندما تكفل
بحفظ أصوله المنزلة وحيّاً على نبيه صلى الله عليه وسلم، فقال:
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿٤﴾

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) انظر: ((الإسلام وعلاقته بالشرائع الأخرى)) د. عثمان جمعه ضميرية ص
(٥٤ - ٦٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٩.

المطلب الخامس: الإيمان باليوم الآخر

إن الإيمان باليوم الآخر، أو الحياة بعد الموت، وما يتضمنه من أمور يجب التصديق بها، ركن من أركان الإيمان، وعقيدة من عقائد الإسلام، جاءت مقترنة بالإيمان بالله تعالى مرتبطة به في كثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، كقوله تعالى ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(١).

ويتضمن الإيمان باليوم الآخر: التصديق الجازم بأن هذه الحياة الدنيا لها نهاية تنتهي فيها الخلائق، ويتبدّل فيها هذا النظام الكوني. ويُعرف ذلك بيوم القيامة، حيث ينتهي أجل الإنسان بالموت، فتبدأ مرحلة الحياة البرزخيّة، ثم يبعث الله تعالى الناس من قبورهم ويجمعهم للحساب على ما عملوه من خير أو شر، ويتحدد مصير الإنسان عندئذ إما إلى جنة أبداً وإما إلى نار أبداً، وذلك أن الحياة الدنيا دار الابتلاء والآخرة دار الحساب والجزاء.

وقد قامت الأدلة النقلية والعقلية على وجوب الإيمان بالبعث واليوم الآخر، ونجد في كتاب الله تعالى آيات كثيرة، وبخاصة في السور المكية، تتحدث عن اليوم الآخر والنشأة

(١) سورة البقرة، من الآية: ١٧٧.

الآخرة، وتجعل النشأة الأولى والخلق الأول دليلاً على النشأة
الآخرة، كقوله تعالى:

﴿وإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ
إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ (١٨) أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١﴾

ومن قدر على الخلق في المرة الأولى فهو على الإعادة أقدر،
وهو سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، وآيات قدرته في الخلق
دليل قدرته على الإعادة:

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ
رَمِيمٌ﴾ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ
عَلِيمٌ ﴿٢﴾

ولا يجوز في حكم العقل أن تكون هذه الحياة عبثاً، أو أن
يترك الإنسان سُدى، لا يحاسب على أعماله ولا يجازى، فإن
ذلك يتنافى مع العدل، والله سبحانه وتعالى عادل حكيم، ولهذا
قال سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا
تَرْجِعُونَ﴾ (٣)

(١) سورة العنكبوت، الآيتان: ١٨ - ١٩.

(٢) سورة يس، الآيتان: ٧٨ - ٧٩.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.

وهل يستوي في حكم العقل أيضاً: أن ينتهي الكافرون و
 المؤمنون إلى نهاية واحدة لا يتمايزون فيها: ﴿أَفَجَعَلَ الْمُسْلِمِينَ
 كَالْجَرِيمِينَ ۖ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(١).

ومن أعظم الأدلة وأوضحها على الإيمان بالبعث والحساب:
 أن في الوجود مخلوقات لها دورات متعاقبة من الحياة، فالنبات
 يظهر وينمو، ثم يذبل ويضمحل حتى يصبح ذرات متفرقة
 تختلط بالتراب حتى لا يعرف، ثم يكون موسم يظهر فيه
 النبات كرّة أخرى. فلماذا لا يكون شأن البشر كذلك مع
 الفارق في مدة هذه الدورة الزمنية؟

وإذا كان الله الخالق قد خلق الإنسان في مراحل عديدة
 متعاقبة مذ كان نطفة إلى أن أصبح شيخاً هرمًا، فلماذا لا يخلقه
 في مرحلة تالية بعد موته ويجعله في مرحلة بعد تلك المراحل؟
 لقد تكررت هذه المعاني في القرآن الكريم في مواطن كثيرة،
 فمن ذلك هذه الآيات الكريمة من سورة الحج. قال الله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن
 تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ
 مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
 ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن

(١) سورة القلم، الآيتان: ٣٥ - ٣٦.

يُنَوِّفَ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ
بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ
أَهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ
هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ
ءَاتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿١﴾.

وإنَّ التفكير في ما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر يجعل
الإنسان على ثقة تامة بأن هذه العقيدة التي نؤمن بها هي أقرب
إلى العقل، من بين جميع العقائد التي توجد اليوم في الدنيا، عن
حياة الإنسان بعد موته، وليس فيها شيء يخالف العقل، أو
يكون من المستحيل وجوده.

ثم إذا كان هذا الأمر قد بلغنا على لسان محمد - ﷺ - وهو
في صدقه وأمانته وعفافه حيث قد عرفنا، وفيه الخير كل الخير
لأنفسنا، فإنَّ العقل يقتضي أن نؤمن به، ولا يقتضي أن نرتاب
فيه من غير حجة ولا برهان.

وإن الآثار الكبيرة في حياة الفرد والجماعة التي تترتب على
الإيمان باليوم الآخر والحساب والجزاء، كشاهد آخر على أهمية
هذا الإيمان.

(١) سورة الحج، الآيتان: ٥ - ٧.

المطلب السادس: الإيمان بالقدر

الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، فلا يتم الإيمان حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وأنه من عند الله تعالى، وأنه لا يكون شيء في هذا الكون إلا ما قدره الله تعالى.

وهو في حقيقته يعود إلى الإيمان بالله تعالى، لأن فيه نسبة كل الأحداث إلى الله تعالى، وهذا مقتضى الإيمان بالله وتوحيده. وفيه يعلم الإنسان أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وجاءت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تدل على وجوب الإيمان بالقدر، كقوله تعالى:

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝٢٣﴾^(١).

وتواردت الأحاديث النبوية في ذلك، كما في حديث جبريل السابق، وحديث ابن عمر -رضي الله عنهما-: «كلُّ شيء بقدر حتى العجز والكيس»^(٢).

(١) سورة الحديد، الآيتان: ٢٢ - ٢٣.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب القدر: (٢٠٤٥/٤).

والذي تدلُّ عليه آيات القرآن الكريم أنَّ القَدَر هو السنن التي سنَّها الله تعالى لهذا الكون، والنظام الذي سلكه به، والقوانين الطبيعية التي سَيَّره عليها، وأنَّ كل ما فيه قد خُلق بمقادير معينة، ونسب محددة، فما من موجود إلا وقدر قبل إيجاده مقداره منذ الأزل، فكان كما قدره الله^(١).

ولذلك يقال أيضاً: القضاء والقدر، وعندئذٍ فالقَدَر هو علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل علماً أزلياً، والقضاء هو إيجاد هذه الأشياء كما علمها الله تعالى. وهو أيضاً: أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، كما جاء ذلك في جملة أحاديث عن عدد من الصحابة.

والإيمان بالقدر يشتمل على أربع مراتب:

(الأولى): وهي الإيمان بعلم الله علماً أزلياً محيطاً بجميع خلقه، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض. و(الثانية): الإيمان بأن الله تعالى كتب مقادير الخلق في اللوح المحفوظ.

و(الثالثة): الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

(١) انظر: "تعريف عام بدين الإسلام" للطنطاوي ص(١٥١ - ١٥٢) "روح الدين الإسلامي" عفيف طبارة، ص(١٥٣).

و(الرابعة): الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء، لا خالق غيره ولا رب سواه.

وقد جاء النهي عن الخوض في القدر والتعمق فيه، فحسبنا هنا الإشارة إلى أن الإيمان بالقضاء والقدر لا يعني الاستسلام للعجز والكسل، ولا إلقاء اللوم على المقادير فيما يصيب الإنسان، ولا الاحتجاج به على ما يفعله من معاصي وإنما هو حافز قوي للعمل الصالح والإقدام على عظام الأمور، وعصمة من الوقوع في الوهن والجزع عند حلول المصائب.

وفي القرآن الكريم بيان لمشيئة الله تعالى المطلقة حيث يرد الأمر كله إلى الله تعالى، و بيان ما للإنسان من مشيئة وإرادة مقيّدة ضمن مشيئة الله تعالى وقدرته؛ فهناك أمور تحدث بمحض القدرة العليا وفق المشيئة الإلهية وحدها، لا إرادة للإنسان فيها، وهي ليست محل مؤاخذه ولا مسؤولية، وهناك أمور يقوم بها الإنسان بإرادته واختياره وهذه موضع المسؤولية.

وعلى هذا يجري القضاء والقدر في كل وقائع الحياة وأحداثها، لأنه هو الخطة التي قدرها الله للمخلوقات قبل خلقها وتلك السنن التي أجراها عليها وفق صفة العلم الإلهي والقدرة والإرادة^(١).

(١) انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) لابن أبي العز ٣٢٠/١ وما بعدها ((عقيدة المسلم)) للغزالي ص (١١٣ - ١٤٢)، ((في ظلال القرآن)) ص (١٢٦)، وفصل مفهوم القضاء والقدر في كتاب ((مفاهيم ينبغي أن تصحح)) محمد قطب، و((القضاء والقدر)). د. عبدالرحمن المحمود.

المبحث الثالث

خصائص العقيدة الإسلامية

وبعد أن ألمحنا إلى منهج القرآن الكريم في بيان هذه العقيدة، التي هدانا الله تعالى إليها وأكرمنا بها — بما نظنه متناسباً مع هذا البحث الموجز — أصبح بإمكاننا أن نستخلص أهم ما تختصُّ به من الصفات أو القابليات التي تميزها عن غيرها من العقائد والمذاهب، وترسم معالمها وتحدّد كيانها المستقل، مع الإشارة السريعة إلى شيء من الآثار التي تترتب على هذه الخصائص^(١).

ونجتزئ هنا بأهم هذه الخصائص، إذ يمكن أن نردّها إليها سائر الخصائص الأخرى، ويمكن أن نضيف إليها خصائص غيرها، فالأمر يتعلق بقضية اصطلاحية فحسب. ونجعل ذلك في خمسة مطالب.

(١) ومعرفة هذه الخصائص وتحديدها أمر ضروري لأمر كثيرة، وقد كتب الأستاذ سيد قطب كتاباً كاملاً في هذه الخصائص، هو القسم الأول من كتابه «خصائص التصور الإسلامي ومقوماته».

المطلب الأول: التوقيفية (الربانية)

فهي عقيدة يوقف بها عند الحدود التي حددها وبينها، وبلغها النبي ﷺ، فلا مجال فيها لزيادة أو نقصان أو تعديل أو تبديل؛ ذلك أن العقيدة الإسلامية ربانية المصدر، موحى بها من عند الله تعالى، فلا تستمد أصولها من غير الوحي (الكتاب والسنة) — على ما أشرنا إليه في فقرة سابقة عن «مصادر العقيدة» —.

وهذه الخاصية للعقيدة الإسلامية تميزها عن غيرها من المعتقدات الوثنية التي تنشئها المشاعر والأخيلة والأوهام والتصورات البشرية من تلقاء نفسها. كما أنها تميزها عن العقائد السماوية في صورتها الأخيرة التي آلت إليها على يد الأتباع بما أضافوه إليها، وبما حذفوه منها، وبما غيروا فيها وبدّلوا، حسب ما أملته عليهم أهواؤهم وشهواتهم ورغباتهم الذاتية ومصالحهم البشرية، فتحولت تلك الديانات والعقائد إلى ديانات وثنية^(١).

(١) اقرأ تفصيلاً لذلك في ((المسيحية: نشأتها وتطورها)) لشارل جنيبر ترجمة د. عبد الحليم محمود ص (١٠١) وما بعدها، و((حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر)) للمهندس أحمد عبد الوهاب (٤١) وما بعدها. وهو كتاب حافل بالنصوص والوثائق من مراجع غربية نصرانية، و((محاضرات في النصرانية)) للشيخ محمد أبي زهرة (٢٩) وما بعدها، و((مقارنة الأديان: المسيحية)) للدكتور أحمد شلبي، ص (٩٠ - ١٦٠)، و«العقائد الوثنية في الديانة النصرانية»، للشيخ محمد طاهر التنير، ص (٩) وما بعدها، و في مواضع متفرقة من «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لابن تيمية،

«وينص المصدر الإلهي الذي جاءنا بهذا التصور (العقيدة) — وهو القرآن الكريم — على أنه كله من عند الله، هبة للإنسان من لدنه، ورحمة له من عنده، وأن الفكر البشري — مثلاً ابتداءً في فكر الرسول ﷺ، أو فكر الرسل كلهم، باعتبار أنهم جميعاً أرسلوا بهذا التصور في أصله — لم يشارك في إنشائه، وإنما تلقّاه تلقياً، ليهتدي به ويهدي.

وأن الهداية عطية من الله كذلك، يشرح لها الصدور. وأن وظيفة الرسول — أي رسول — في شأن هذا التصور، هي مجرد النقل الدقيق، والتبليغ الأمين؛ وعدم خلط الوحي الذي يوحى إليه من عند الله بأي تفكير بشري — أو كما يسميه الله بالهوى! أما هداية القلوب به، وشرح الصدور له، فأمر خارج عن اختصاص الرسول؛ ومرده إلى الله وحده في النهاية»^(١) :

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ لَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾^(٢).

و«إظهار الحق» لرحمة الله العثماني الكيرانوي الهندي، و«ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» للسيد أبي الحسن الندوي. و«مذاهب فكرية معاصرة» للأستاذ محمد قطب، و«العلمانية» د. سفر الحوالي. (١) «خصائص التصور الإسلامي» للأستاذ سيد قطب، ص (٥٢).

(٢) سورة الشورى، الآيتان: ٥٢ - ٥٣ .

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ (٢) وَمَا يَنْطِقُ
عَنِ الْهَوَىٰ ۝ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (١).

وهذه الخاصية لها أثرها الفريد في عصمة الأمة عن الخطأ
والزلل والانحراف، وعن الاضطراب في فهم العقيدة. وذلك
لأنها ترجع إلى مصدر موثوق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه. وهو الوحي الذي تكفل الله تعالى بحفظه.

كما أنها ضمانة لتوحيد كلمة الأمة على منهج واحد وتصور
واحد، عندما تلتقي على هذا الوحي الإلهي بما فيه من موازين
لا تضطرب ولا تتأرجح ولا تتأثر بالهوى والدوافع الذاتية.

(١) سورة النجم، الآيات: ١ - ٤.

المطلب الثاني: الغيبية

تقوم العقيدة الإسلامية على الإيمان بأصول لا تخضع للحس المباشر أو غير المباشر، وإنما تقع في مجال عالم الغيب. وهو العالم الذي غاب عن حواسنا ولا تقتضيه بدهة العقول.

فالإيمان بالله — سبحانه وتعالى — هو إيمان بالغيب، لأن ذات الله تعالى غيب بالقياس إلى البشر. والإيمان بالآخرة وما يتصل به، هو كذلك إيمان بالغيب، والإيمان بالملائكة إيمان بالغيب والإيمان بالقدر... كل هذا غيب يؤمن به المؤمن الذي يريد الهداية: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾^(١).

والإيمان بالغيب نزعة فطرية، فطر الله تعالى الإنسان عليها، لا ينكرها إلا جاحد قاصر العقل والعلم، ولذلك فإن التنكُّر لعلم الغيب من قِبَل الماديين، يبدو في مفهوم العلم الحديث نفسه جهلاً وضلالاً وبُعداً عن العلم والحق، إنَّ العلم المادي لا يستطيع أن يحكم على عالم الغيب، لأنه خارج عن مجاله، فلا يجوز — علمياً — إنكار شيء لأجل أنه مغيب عنا أو لأنه غير محسَّ بحواسنا، أو لأنه غير قابل للتفسير. وكم من الأمور التي

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢، ٣.

يتلقاها الناس بعامة و العلماء بخاصة، يتلقونها بالتسليم وهم لم يروها ولم يحسوها^(١).

ولذلك فإن كل ما تدعو إليه العقيدة الإسلامية وتقوم عليه من هذه الأمور الغيبية غير متناقضة مع العقل، وليس عنده وسيلة لإنكارها والتكذيب بوجودها، وليس فيها شيء يضطر الإنسان إلى رفضه والتخلي عنه بعد بلوغه أي مرحلة من مراحل الارتقاء العقلي والعلمي. بل الذي يقتضيه العقل على خلاف ذلك: أنها هي الصواب الذي لا يشوبه الخطأ.. أما الإيمان والتصديق بهذه الأمور الغيبية (المغيّبات) فهما مرتنان بطمأنينة الضمير وشهادة الوجدان. وكل ما للعقل الدخول في شأنها هو أن الأمور التي يكون التصديق بها مخالفاً للعقل، فإن صراعاً يقوم بشأنها بين العقل والوجدان ولا يكون إيمان الإنسان بها إلا ضعيفاً. وأما الأمور التي لا يكون التصديق بها مخالفاً للقياس العقلي أو التي يساعد العقل على التصديق بها، فإن الضمير يزداد طمأنينة في شأنها، وذلك مما يقوّي الإيمان ويزيده أصالة ورسوخاً^(٢).

(١) انظر: ((عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي))، د. عثمان جمعة ضميرية، ص (٥٧ - ٦٤).

(٢) انظر: ((الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها)) للأستاذ أبي الأعلى المودودي، ص (١١٦ - ١١٧).

ولذلك فإن الطريق إلى معرفة عالم الغيب والتصديق به إنما يكون عن طريق الخبر الصادق الذي يأتينا عن طريق الوحي، كما يكون عن طريق الآثار التي تدلّ عليه، كما أن الفطرة السليمة تتلقى ذلك بالتسليم والتصديق^(١).

وهذه الخاصية للعقيدة الإسلامية تميزها عن المذاهب الفكرية المادية التي تتنكر للغيب ولا تؤمن إلا بما تقع عليه الحواس، ويخضع للتجربة الحسية، على ما ذهب إليه المذهب الوضعي التجريبي الذي عُرِفَ به الفيلسوف الاسكتلندي «هيوم» والذي نشأت عنه الفلسفة الوضعية^(٢). كما أن «ماكس مُولر» أيضاً يذهب إلى أنه لا شيء يتحقق في عقيدة الإنسان ما لم يكن قد أتى من قبل عن طريق حواسه^(٣).

وبذلك يكون الإنسان الأوربي، (وكل مذهب مادي كذلك) قد سجن نفسه بطريقة تحكّمية في حدود حواسه الخمس، منذ عهد النهضة الأوروبية^(٤).

(١) انظر: ((عالم الغيب والشهادة))، عثمان ضميرية، ص (٣٧).

(٢) انظر عن هذا المذهب ومناقشته: «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» للدكتور محمد البهي ص (٢٣٣ - ٢٣٧)، و«الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان»، د. محمد عبد الله دراز، ص (٨٤ - ٨٦)، و«العلمانية: نشأتها وتطورها»، د. سفر الحوالي، ص (٣٧٧ - ٣٨٠).

(٣) ((نشأة الدين)) د. علي سامي النشار، ص (٧٠، ٧١).

(٤) «تأملات في سلوك الإنسان» تأليف الكسيس كاريل، ترجمة د.

محمد القصاص ص (١٦٢).

كما أن هذه الخاصية للعقيدة الإسلامية لها آثارها الضخمة في حياة الإنسان، فالإيمان بالغيب ارتقاء بالإنسان إلى المستوى الذي يليق بإنسانيته ويميزه عن المخلوقات التي لا تدرك إلا ما تدركه بحواسها. وهو — كذلك — سبيل للتقدم العلمي وسعة الأفق في النظر والفكر. وفيه ضمان أكيدة لاستقامة نفس المؤمن ونظافة سلوكه، عندما يشعر برقابة الله تعالى عليه، وأنه — سبحانه — يعلم السرّ وأخفى، فهو يعبد الله كأنه يراه، فيرتقي إلى مرتبة «الإحسان».

ومن هنا كانت الأحكام الدينية ضابطاً لسلوك الإنسان المؤمن، وطريقاً لتنمية الوازع الداخلي (الوجدان) وهذا ما تفتقده المذاهب والقوانين البشرية التي لا تستطيع أن تضبط إلا الأمور الظاهرية. ولعل في هذا إشارة إلى الحكمة من ربط الأحكام التشريعية بتقوى الله تعالى وبالخوف من عقابه.

المطلب الثالث: الشمول

وهذه الخاصية نجدها بارزة واضحة في الإسلام الذي رضيّه الله تعالى لنا ديناً، فهو دين شامل كامل، لم يترك جانباً من جوانب الحياة الفردية والاجتماعية إلا وقد نظّمه تنظيمًا دقيقاً شاملاً لجميع النواحي، يبتعد به عن النظرة التجزيئية القاصرة التي تُرى فيها الأشياء أجزاء وتفارق لجوانب موزعة من شيء أصله متكامل مترابط.

فالإسلام يتضمن عقيدة توجّه حياة الإنسان وتصرفاته، وعبادة تحدد صلته بالله تعالى وبالحياة والأحياء والكون من حله، كما يتضمن أخلاقاً طيبة فاضلة وسلوكاً حميداً في التعامل، وشرعية تنظّم أمور الإنسان في معاملاته وحياته الفردية والأسرية والاجتماعية، كما تنظم علاقة الأمة بغيرها من الأمم الأخرى.

ولذلك فإن العقيدة الإسلامية - كأساس لهذا الشمول العام في الإسلام - عقيدة شاملة فيما تقوم عليه من أركان الإيمان وقواعده وما يتفرع عن ذلك، وشاملة في نظرتها للوجود كله، تعرّفنا على الله والكون والحياة والإنسان معرفة صحيحة شاملة.

وتتمثل خاصية الشمول هذه في صور شتى:

إحدى هذه الصور وأكبرها: ردُّ هذا الوجود كله: بنشأته ابتداءً، وحركته بعد نشأته، وكل انبثاق فيه، وكل تغير وكل تطور، والهيمنة عليه وتدبيره وتصريفه... إلى إرادة الذات الإلهية المطلقة المشيئة، المبدعة لهذا الكون ولكل شيء فيه... بقدر خاص وبمجرد توجه الإرادة... وآيات الكتاب الكريم كلّها شاهد ناطق بذلك كله.

وصورة أخرى من صور خاصية الشمول، تبدو في الحديث عن حقيقة العبودية وخصائصها وصفاتها، ممثلة في عبودية الكون والحياة والإنسان، فيبين طبيعتها ونشأتها وأحوالها وعلاقتها فيما بينها، ثم علاقتها بالحقيقة الإلهية الكبرى. ويربط بين مجموع تلك الحقائق من جميع جوانبه، في تصور واحد منطقي فطري، يتعامل مع بديهة الإنسان وفكره ووجدانه، ومع مجموع الكينونة البشرية في يسر وسهولة. وهذا أمرٌ بيّن واضح، والآيات الكريمة في ذلك كثيرة.

وصورة ثالثة من صور الشمول في العقيدة الإسلامية: أن الحديث عن تلك الحقائق الكلية السابقة في العقيدة، إنما يأتي في القرآن بأسلوب يخاطب فيه الكينونة الإنسانية بكل جوانبها وبكل أشواقها، وبكل حاجاتها واتجاهاتها، ويردّها إلى جهة واحدة تتعامل معها، وتتوجه إليها بكل شيء... لأنها خالقة كل

شيء، ومالكة كل شيء، ومدبرة كل شيء. وعندئذ تتجمع هذه الكينونة شعورًا وسلوكًا وتصورًا واستجابة.. في شأن العقيدة والمنهج، وفي شأن الاستعداد والتلقي، وفي شأن الموت والحياة، وفي شأن السعي والحركة، وفي شأن الدنيا والآخرة.

وأثر هذه الخاصية البارزة في العقيدة: أن هذا الشمول فوق أنه مريح للفطرة البشرية، لأنه يواجهها بمثل طبيعتها الموحدة؛ ولا يكلفها عتًا، ولا يفرضها مِزَقًا.. هو في الوقت ذاته يعصمها من الاتجاه لغير الله في أي شأن وأي لحظة؛ أو قبول أية سيطرة تستعلي عليها بغير سلطان الله، وفي حدود منهج الله وشريعته في أي جانب من جوانب الحياة، فليس الأمر والهيمنة والسلطان لله وحده في أمر «العبادات» الفردية؛ ولا في أمر الآخرة — وحدهما — بل الأمر والهيمنة والسلطان لله وحده، في الدنيا والآخرة، في السماوات والأرض، في عالم الغيب والشهادة، في العمل والصلاة.. وفي كل نفس، وكل حركة، وكل خالجة، وكل خطوة، وكل اتجاه^(١): ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ^(٢)﴾.

(١) انظر: ((خصائص التصور الإسلامي)) ص ١١٠ وما بعدها.

(٢) سورة الزخرف، الآية: (٨٤).

المطلب الرابع: التكامل أو الترابط

وإذا كان هذا الدين قد بلغ ذروة الكمال والتمام والشمول، فإن العقيدة كذلك عقيدة تتميز بالتكامل، فهو كمال متكامل، تتجمع فيها كل الأجزاء وتترابط ترابطاً دقيقاً يأخذ بعضها بحُجَز بعض لتشكل كلاً موحّداً متناسقاً، لا يقبل التجزئة والانفصام. ولذلك فإن الأحكام فيها تؤخذ «كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كليّاتها وجزئياتها المرتبة عليها، وعامّها المرتب على خاصّها، ومطلقها المحمول على مقيدها، ومجملها المفسّر بيّنها... إلى ما سوى ذلك من مناحيها»^(١).

ونجد للتكامل في العقيدة صوراً شتى: فأركان الإيمان كلّها مترابطة ارتباطاً وثيقاً، يكمل كلّ منها الآخر ويرتبط به، بحيث لو حصل إخلال بواحد منها أو إنكار له، كان تأثيره على سائرهما واضحاً، بل إن هذه الأركان تتجمع وتتضامّ حول الركن الرئيسي وهو الإيمان بالله تعالى. ومن هنا تأتي أركان الإيمان كلّها في سياق واحد يحقق صفة الإيمان لصاحبها، وتأتي النصوص القرآنية كذلك لتؤكد على الارتباط بين الإيمان بالله والإيمان بالملائكة، وتقرن الإيمان بالله مع الإيمان باليوم الآخر،

(١) «الاعتصام» للشاطبي: ٢٤٥/١.

وتجعل الإيمان بالرسول أمراً لا يتجزأ، فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم جميعاً، بل قد كفر بالله تعالى، لأنهم جميعاً جاؤوا من عند الله سبحانه وتعالى برسالة واحدة، وقد قرّر الله تعالى ذلك في آيات كثيرة من القرآن الكريم.

وصورة أخرى لهذا الترابط نجدها في الصلة بين العقيدة أو الإيمان من جانب والعبادات والمعاملات وسائر الأحكام الشرعية العملية والخلقية. وتمتج فيها الأحكام التشريعية بالأحكام الأخلاقية النابعة من الإيمان بالله تعالى وخشيته وتقواه. وصورة ثالثة لهذا الترابط والتكامل في العقيدة نراها في تكامل الفكر والعمل أو الإيمان والعمل حيث أصبحا «شيئين يكمل بعضهما بعضاً، ويقوي بعضهما بعضاً، أو هما جانبان لشيء واحد؛ إذ رسوخ الفكرة الإسلامية يدفع للعمل بمقتضاها، والمواظبة على العمل بمقتضى الفكرة الإسلامية، يدعمها ويزيدها رسوخاً.

«ثم إن الاتصال بوحى السماء يجعل للفكرة الدينية في جملتها مصدرين يمدّانها بالغذاء والنماء، وهما العقل والقلب. ومن أجل ذلك سميت الفكرة الإسلامية: إيماناً وعقيدة، واعتبر العمل خاصتها اللازمة لها»^(١).

(١) انظر: «التفكير الفلسفي الإسلامي»، د. سليمان دنيا، ص (٢٤٧ - ٢٤٨).

ولهذه الخاصية آثار تظهر في التناسق مع الفطرة التي فطر الله الإنسان عليها، فالإنسان بما فيه من تكامل في أصل الخلقة يجد الطمأنينة والراحة النفسية في هذا التوافق والتكامل في العقيدة وآثارها. وبذلك ينزع الإسلام من نفس الإنسان عوامل القلق والاضطراب.

كما أن هذه الخاصية توحد اتجاه الإنسان وحركته بما تقوم به من «التوفيق التام بين الوجهتين الروحية والمادية في الحياة الإنسانية. وإنك لترى هاتين الوجهتين في تعاليم الإسلام تتفقان في أنهما لا تدعان تناقضاً أساسياً بين حياة الإنسان الجسدية وحياته الأدبية فحسب، ولكن تلازمهما هذا وعدم افتراقهما فعلاً أمر يؤكد الإسلام، إذ يراه الأساس الطبيعي للحياة»^(١).



(١) ((الإسلام على مفترق الطرق)) لمحمد أسد، ص (٢٢).

المطلب الخامس: التوازن

ومع هذا التكامل وذاك الشمول، نجد خاصية أخرى بارزة في العقيدة الإسلامية، تتصل بوحدة من أهم السمات العامة للإسلام وهي الوسطية والاعتدال، تلکم هي خاصية التوازن بين الأمور المتقابلة، فيقع كل أمر أو جانب على قدر معين باعتدال موزون بحكمة ربانية «تضبط فيها النسب بين جوانب الحياة وقيَمها؛ فالمال واللذة، والعمل والعقل، والمعرفة والقوة، والعبادة والقربة، والقومية والإنسانية، قِیمٌ من قِیم الحياة. والإسلام جعل لكل منها موضعاً في نظام الحياة ونسبةً محدودة لا تتجاوزها حتى لا تطغى قيمة على قيمة»^(١).

وبهذه الخاصية يتميز الإسلام عن سائر الأديان والمذاهب أجمعها، حيث تضخّم جانباً وتعنى به على حساب الجوانب الأخرى، وإما أن يكون ذلك ابتداءً، وإما أن يكون ردة فعل أو معالجة لخطأ سابق.

وقد ضرب شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أمثلة على وسطية الإسلام وتوازنه بين هذه الأديان في الموقف من الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- بين جفاء اليهود وغلوّ النصارى، وفي شرائع دين الله تعالى بين اليهود الذين حرّموا

(١) «الفكر الإسلامي الحديث» للأستاذ محمد المبارك ص (٦٥).

على الله أن ينسخ ما يشاء أو أن يحكم ما يشاء، وبين النصارى الذين جوّزوا ذلك لعلمائهم، وكذلك في وسطية الإسلام بينهما فيما يتعلق بالحلل والحرام، وفيما يتصل بأسماء الله وصفاته، فقال:

((فالمسلمون وسط في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين؛ لم يغلوا فيهم كما غلت النصارى فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو، سبحانه عما يشركون، ولا جفوا عنهم كما جفت اليهود؛ فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وكلّما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً. بل المؤمنون آمنوا برسول الله وعزّروه ونصروههم ووقّروهم وأحبّوهم وأطاعوهم، ولم يعبدوهم ولم يتخذوهم أرباباً، كما قال تعالى:

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ نِعْمَ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾^(١)

ومن ذلك أن المؤمنين توسطوا في "المسيح"، فلم يقولوا: هو الله، ولا ابن الله، ولا ثالث ثلاثة كما تقوله النصارى، ولا

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٩.

كفروا به وقالوا على مريم بهتاناً عظيماً حتى جعلوه ولد بغية، كما زعمت اليهود، بل قالوا: هذا عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول وروح منه.

وكذلك المؤمنون "وسط في شرائع دين الله"، فلم يحرموا على الله أن ينسخ ما شاء ويمحو ما شاء ويثبت، كما قالته اليهود، كما حكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله:

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١)، ولا جوزوا لأكابر علمائهم وعبادهم أن يغيروا دين الله فيأمرُوا بما شاؤوا وينهوا عما شاؤوا، كما يفعله النصارى، كما ذكر الله ذلك عنهم بقوله:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢).

قال عدي بن حاتم -رضي الله عنه- قلت: يا رسول الله ما عبدوهم؟ قال: ((ما عبدوهم؛ ولكن أحلُّوا لهم الحرام

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣١.

فأطاعوهم، وحرّموا عليهم الحلال فأطاعوهم»^(١).

والمؤمنون قالوا: "الله الخلق والأمر"، فكما لا يخلق غيره لا يأمر غيره، وقالوا: سمعنا وأطعنا؛ فأطاعوا كلّ ما أمر الله به. وقالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾^(٢)، وأما المخلوق فليس له أن يبدّل أمر الخالق - تعالى - ولو كان عظيماً.

وكذلك في صفات الله تعالى: فإن اليهود وصفوا الله تعالى بصفات المخلوق الناقصة؛ فقالوا: هو فقير ونحن أغنياء. وقالوا: يد الله مغلولة. وقالوا: إنه تعب من الخلق فاستراح يوم السبت، إلى غير ذلك من الصفات التي يتنزّه الله تبارك وتعالى عنها. والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به فقالوا: إنه يخلق ويرزق؛ ويغفر ويرحم ويتوب على الخلق ويثيب ويعاقب. والمؤمنون آمنوا بالله سبحانه وتعالى ليس له

(١) أخرجه الطبري في التفسير: ١٤ / ٢١٠. ورواه الترمذي مختصراً في تفسير سورة براءة: ٨ / ٤٩٢ - ٤٩٤، وقال: "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث". وعزاه السيوطي أيضاً: لابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي. انظر: الدر المنثور: ٤ / ١٧٤، الكافي الشاف ص (٧٥)، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ص (٤٣٧).

(٢) سورة المائدة، الآية: ١.

سمي ولا ند ولم يكن له كفواً أحد، وليس كمثله شيء؛ فإنه ربُّ العالمين وخالق كل شيء، وكل ما سواه عبادٌ له فقراء إليه: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (١٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿١٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿١٥﴾^(١) ومن ذلك أمر الحلال والحرام، فإن اليهود كما قال الله تعالى:

﴿فِظْلِمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾^(٢) فلا يأكلون ذوات الظفر؛ مثل الإبل والبط. ولا شحم الثَّرب (الكرش) والكليتين؛ ولا الجدي في لبن أمه، إلى غير ذلك مما حرَّم عليهم من الطعام واللباس وغيرهما؛ حتى قيل: إن المحرمات عليهم ثلاثمائة وستون نوعاً. والواجب عليهم مِئتان وثمانية وأربعون أمراً، وكذلك شدد عليهم في النجاسات حتى لا يؤاكلوا الحائض ولا يجامعوها في البيوت، وأما النصارى فاستحلُّوا الخبائث وجميع المحرَّمات وباشروا جميع النجاسات وإنما قال لهم المسيح^(٣): ﴿وَلَا تُحِلُّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾^(٤).

(١) سورة مريم، الآية: ٩٣ - ٩٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٠.

(٣) انظر: ((الوصية الكبرى)) لابن تيمية، ص (٤٧ - ٥٢).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥٠.

والصور التي تأتي شاهداً على هذا التوازن تعزُّ على الحصر، فإن كل ما في الإسلام وكل ما في العقيدة الإسلامية ناطق بهذا التوازن الدقيق، حسبنا هنا الإشارة إلى أهم الموازنات. ومن ذلك:

التوازن بين ما يتلقاه الإنسان عن طريق الوحي وبين ما يتلقاه عن طريق وسائل الإدراك البشري، والتوازن بين طلاقة المشيئة الإلهية وثبات السنن الكونية، والتوازن بين المشيئة الإلهية الطليقة ومجال المشيئة الإنسانية المحدودة، والتوازن في مصادر المعرفة بين الوحي والعقل.. وبين الإيمان بالقدر والأخذ بالأسباب.. وبين العمل للدنيا والعمل للآخرة، وبين القيم المادية والقيم المعنوية.

وهذه الخاصية لها أثرها الكبير في عصمة هذه الأمة عن الغلو والإفراط وعن النقص والتفريط، وعن التآرجح بين المذاهب والأفكار القاصرة، والأخطاء الناتجة عن الوقوع في الانحراف بكل قيمة عن مكانتها اللائقة بها.



الخاتمة

وبعد هذه اللوحات عن العقيدة في القرآن الكريم وخصائصها، يحسن أن نختم ذلك بكلمات عن مميزات المنهج القرآني في عرض العقيدة الإسلامية وأصولها، ثم نعقب بأهم النتائج والتوصيات:

(١) فهذا المنهج يتميز أولاً: بكونه يعرض ((الحقيقة)) كما هي في عالم الواقع، في الأسلوب الذي يكشف كل زواياها وكل جوانبها وكل ارتباطاتها، وكل مقتضياتها وهو مع هذا الشمول لا يعقد هذه الحقيقة ولا يلفها بالضباب! بل يخاطب بها الكينونة البشرية في كل مستوياتها.

وثانياً: بكونه مبرراً من الانقطاع والتمزق الملحوظين في الدراسات ((العلمية)) والتأملات ((الفلسفية))، فهو لا يفرد كل جانب من جوانب الكل الجميل المتناسق بحديث مستقل كما تصنع أساليب الأداء البشرية. وإنما هو يعرض هذه الجوانب في سياق موصول... تتعذر مجاراته أو تقليده.

ثالثاً: بكونه -مع تماسك جوانب الحقيقة وتناسقها- يحافظ تماماً على إعطاء كل جانب من جوانبها مساحته، التي تساوي

وزنه الحقيقي في ميزان الله وهو الميزان، كما أنَّ هذه الحقائق لا يطغى بعضها على بعض في التصور الإسلامي.

رابعاً: بتلك الحيوية الدافقة الموحية-مع الدقة والتقرير والتحديد الحاسم- وهي تمنح هذه الحقائق حيوية وإيقاعاً وروعة وجمالاً لا يتسامى إليها المنهج البشري في العرض ولا الأسلوب البشري في التعبير.. ثم هي في الوقت ذاته تعرض في دقة عجيبة، وتحديد حاسم، ومع ذلك لا تجور الدقة على الحيوية والجمال. ولا يجور التحديد على الإيقاع والروعة^(١)!

(٢) إن القرآن الكريم -ومعه السنة النبوية- هو مصدر هذه العقيدة الذي تتفق مع الفطرة ومع العقل، وفيه الغناء والكفاية، وهو الهداية والنور، وهو في الوقت ذاته سبب الهداية إلى أقوم طريق في العقيدة والعبادة والأخلاق والتشريع، ولا يجوز أن نحمله على الآراء والمقررات البشرية القابلة للصواب والخطأ، بل ينبغي أن يكون هو المهيمن عليها المصحح لأخطائها والمقوم لمنهجها، ويكون فهمه وتفسيره قائماً على

(١) انظر تفصيل ذلك في ((مقومات التصور الإسلامي))، ص (٦٥ _ ٦٨).

مناهج فهم النصوص في اللغة التي نزل بها مع البيان المعصوم
من النبي ﷺ.

(٣) ويحسن - في هذا المقام - التأكيد على وجوب دراسة
مباحث العقيدة والإيمان وما يتصل بها، دراسة موضوعية من
القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ، بطريقة تتناسب مع
المخاطبين في هذا العصر من حيث طريقتهم في التفكير
وأسلوبهم في التعبير، مع المحافظة على المفاهيم الإسلامية،
دون انتقاص أو تحريف، بدلاً من الإغراق في الأساليب
الكلامية والمناهج الفلسفية والجدلية، التي كانت تصلح لفترة
زمنية ومرحلة معينة سابقة، ولكنها قد لا تصلح لعصرنا هذا،
مع ما تركته من آثار في كتب العقيدة من التعقيد والجفاف
والتأثر بالقالب الفلسفي والكلامي.

ولذلك ينبغي أن نلتفت أيضاً إلى القضايا الفكرية والعقدية
التي تطفو على الساحة اليوم، ومن ثم دراستها بأسلوب يتفق مع
روح العصر، ويستفيد من مقررات العلوم القطعية ونتائجها،
دون مجافاة لروح النصوص الشرعية الصريحة الصحيحة، إذ إن
صحيح المنقول يتفق مع صريح المعقول.

ولعل هذا المقام يتسع لتوصية أخرى تتصل بالاهتمام بالتراث الإسلامي الذي خلفه لنا علماء السلف، رحمهم الله تعالى، في باب العقيدة والإيمان، مما كتبه تحت عنوان «الفقه الأكبر» أو «الشريعة» أو «العقيدة» أو «التوحيد» قبل أن يتأثر هذا العلم بالمؤثرات الأجنبية التي تسلفت إلى «علم الكلام».

والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين

أهم المصادر والمراجع

- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة العكبري. تحقيق د. رضا معطي، دار الراية بالرياض، ١٤١٤هـ.
- الإسلام عقيدة وشريعة، للشيخ محمود شلتوت، دار الشروق بالقاهرة، ١٣٩٦هـ.
- الإسلام على مفترق الطرق، تأليف محمد أسد، ترجمة عمر فروخ، الطبعة السادسة، دار العلم للملايين في بيروت ١٣٩٤هـ.
- أصول البزدوي، مع شرحه كشف الأسرار للبخاري. دار الكتاب العربي، بيروت، عن طبعة دار السعادة بتركيا ١٣٠٨هـ.
- أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، د. محمد عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي بالرياض، ١٤١٦هـ.
- إظهار الحق، للشيخ رحمه الله العثماني الكيرانوي، تحقيق عبد الله إبراهيم الأنصاري. طبع الشؤون الدينية بدولة قطر، ١٤١٦هـ.
- الاعتصام، للإمام أبي إسحاق الشاطبي، بتحقيق محمد رشيد رضا، طبعة مصورة عن نشرة دار المنار بمصر، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- الاعتقاد على مذهب السلف، لإمام أبي بكر البيهقي، مكتبة السلام العالمية، القاهرة، ١٣٩٨هـ.
- تأملات في سلوك الإنسان، د. إلكسيس كاريل، ترجمة محمد القصاص، مكتبة مصر بالقاهرة، ١٩٦٨م.
- تجديد الفكر الديني في الإسلام، تأليف محمد إقبال، ترجمة عباس محمود. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، ١٩٦٤م.

- تحفة الأحمدي شرح سنن الترمذي، للمباركفوري. المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ١٤٠٦هـ.
- ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، لابن الوزير. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ.
- التصور الإسلامي للكون والحياة، عثمان جمعة ضميرية، دار الكلمة الطبية بالقاهرة، ١٤٠٢هـ.
- تفسير البغوي: معالم التنزيل، تحقيق عثمان ضميرية وآخرين. دار طيبة بالرياض، ١٤١٣هـ.
- تفسير الطبري المسمى: جامع البيان، تحقيق محمود شاكر، مكتبة ابن القيم بمصر، ١٤٠٨هـ.
- تفسير الفخر الرازي، المسمى التفسير الكبير، دار الكتاب العربي في بيروت، عن الطبعة المنيرية.
- التفكير الفلسفي الإسلامي، د. سليمان دنيا. مكتبة الخانجي بالقاهرة، بدون تاريخ.
- التفكير الفلسفي في الإسلام، د. عبد الحليم محمود. مكتبة الإنجلو المصرية، الطبعة الثالثة.
- تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مصطفى عبد الرازق، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٤م.
- تهذيب سنن أبي داود، للمنذري، مع معالم السنن للخطابي. مطبعة أنصار السنة بمصر، ١٣٩٨هـ.
- الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، د. محمد البهي. دار الكاتب العربي بالقاهرة.

- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية. مؤسسة المدني بمصر، ١٣٩٤هـ.
- الحجة في بيان المحجة وشرح التوحيد، قوام السنة الأصبهاني، دار الراية بالرياض، ١٤١١هـ.
- الحضارة الإسلامية، أسسها ومبادئها، أبو الأعلى المودودي. الدار العربية، بيروت، ١٩٦٨م.
- حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، للمهندس أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة بالقاهرة، ١٩٧٨م.
- الحقيقة في نظر الغزالي، د. سليمان دنيا. دار المعارف بمصر، بدون تاريخ.
- خصائص التصور الإسلامي، سيد قطب، دار الشروق بالقاهرة، ١٩٨٦م.
- الخطط المقرزية، للمقرزي. مصور عن طبعة بولاق، دار العرفان، لبنان، بدون تاريخ.
- خلاف الأمة في العبادات، لابن تيمية، تحقيق عثمان ضميرية، مكتبة الفاروق بالطائف، ١٤٠٨هـ.
- درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم. جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٠٤هـ.
- دراسات في الفكر الإسلامي، د. عدنان محمد زرزور. مكتبة الفلاح بالكويت، ١٤١٠هـ.

- الدّين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، د. محمد عبد الله دراز، دار القلم - الكويت، ١٤١٤هـ.
- رسالة التوحيد، للشيخ محمد عبده. بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة صبيح بالقاهرة، ١٩٦٨م.
- الرسالة، للإمام الشافعي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر. دار التراث بالقاهرة، ١٤٠٨هـ.
- ركائز الإيمان محمد قطب، دار الشروق بالقاهرة، ١٤١٦هـ.
- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر، ١٣٨٦هـ.
- سنن الدارمي، تحقيق محمد أحمد دهمان. دار إحياء السنة في بيروت، بدون تاريخ.
- سنن النسائي، بعناية عبد الفتاح أبو غدة. مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للإمام هبة الله اللالكائي، تحقيق د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة بالرياض، ١٤٠٦هـ.
- شرح السنة، للبخاري، تحقيق شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ١٤٠٨هـ.
- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ.
- صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، المطبعة السلفية، ١٣٨٠هـ.

- طبقات الشافعية الكبرى، لابن السبكي. تحقيق عبد الفتاح الحلو. مطبعة الحلبي، ١٣٨٤هـ.
- عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي، عثمان ضميرية. مكتبة السوادى بجدة، ١٤٠٨هـ.
- العقائد النسفية مع حاشية التفتازاني. وعليه تعليقات الخيالي: طبع تركيا.
- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد الطاهر التنير، الطبعة الثانية، الكويت.
- العقيدة في القرآن، محمد المبارك. دار الفكر. بدمشق، ١٣٩٤هـ.
- العلمانية: نشأتها وتطورها، د. سفر الحوالي. دار مكة للطباعة. نشر مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤٠٢هـ.
- فتح الباري شرح البخاري، لابن حجر، عن الطبعة السلفية، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء بالرياض، ١٣٩٨هـ.
- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي. مكتبة وهبة بالقاهرة، ١٣٩٤هـ.
- الفكر الإسلامي في مواجهة الأفكار الغربية، محمد المبارك، دار الفكر. بيروت، ١٣٨٩هـ.
- قانون التأويل لأبي بكر ابن العربي، تحقيق محمد السليمانى، دار القبلة بجدة، ١٣٩٨هـ.
- الكشف عن حقائق التأويل، للزمخشري، ومعه تخريج الكشف للزيلعي، مصور عن الطبعة المصرية، بيروت ١٣٩٤هـ.

- لوامع الأنوار البهية شرح الدرة المضيّة، للشيخ أحمد السفاريني، تصوير المكتب الإسلامي عن طبعة المنار بالقاهرة.
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبي الحسن الندوي. مطابع الأصفهاني بجدة، ١٣٩٨هـ.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع ابن عاصم، طبعة مكتبة المعارف بالمغرب، مصورة عن طبعة مطابع الحكومة بالرياض.
- المختار من كنوز السنة، د. محمد عبد الله دراز، إدارة الشؤون الدينية بدولة قطر، ١٤٢هـ.
- مداخل إلى العقيدة الإسلامية، د. يحيى هاشم فرغل، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٥م.
- مدارج السالكين لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة، ١٣٨٦هـ.
- مذاهب فكرية معاصرة، للأستاذ محمد قطب، دار الشروق بالقاهرة، ١٤١٢هـ.
- المسيحية: نشأتها وتطورها، تأليف شارل جنير، ترجمة الدكتور عبدالحليم محمود، دار المعارف بمصر، ١٣٩٦هـ.
- مفاهيم ينبغي أن تصحح، للأستاذ محمد قطب، دار الشروق بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- مقارنة الأديان: المسيحية، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، ١٣٩٢هـ.
- مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨١م.

- مقومات التصور الإسلامي، للأستاذ سيد قطب، دار الشروق، ١٤٠١هـ.
- مناهج البحث عند مفكري الإسلام، د. علي سامي النشار، دار المعارف بالقاهرة، ١٣٩٤هـ.
- منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، دار الشروق بالقاهرة، ١٤١٢هـ.
- الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي. تحقيق الشيخ عبد الله دراز، دار المعرفة في بيروت، مصورة عن طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ١٣٩٤هـ.
- النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة المعارف بالرياض، ١٣٩٤هـ.
- نشأة الدين، د. علي سامي النشار مكتبة الخانجي بمصر، بدون تاريخ.
- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، د. علي سامي النشار. دار المعارف بمصر، ١٩٦٨م.
- نظام الإسلام — العقيدة والعبادة — محمد المبارك — دار الشروق بجدة، ١٤٠٢هـ.
- الوصية الكبرى، لابن تيمية، تحقيق عثمان ضميرية، ومحمد النمر. مكتبة الصديق بالطائف، ١٤٠٨هـ.



الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة.....
٧	أهمية البحث في العقيدة.....
١١	منهج البحث وطريقته.....
١٢	خطة البحث.....
١٣	التمهيد.....
٢٦	البحث الأول: المنهج القرآني في بناء العقيدة
٢٧	المطلب الأول: المنهج الفطري أو الوجداني.....
٢٩	مجالات المنهج الفطري.....
٣٩	المطلب الثاني: المنهج العقلي.....
٤١	مجالات المنهج العقلي.....
٤٨	المطلب الثالث: منهج الجدل والرد على الإنحرافات
٥٥	المطلب الرابع: منهج بيان العقيدة من خلال القضايا الاجتماعية
٥٧	المطلب الخامس: المنهج الإرادي العملي.....
٥٩	مجالات المنهج الإرادي العملي.....
٦١	المطلب السادس: منهج تثبيت العقيدة والتذكير بالله.....

٦٣	المبحث الثاني: أصول العقيدة
٦٦	المطلب الأول: الإيمان بالله تعالى
٦٧	أولاً: وجود الله تعالى
٦٩	ثانياً: التوحيد وأنواعه
٧٣	الرد على نظرية التطور في الأديان
٧٤	أنواع التوحيد
٧٤	الأول: توحيد الربوبية
٧٧	الإلحاد جهالة وسفاهة
٧٧	صور من الإلحاد بتوحيد الربوبية
٧٩	الثاني: توحيد الألوهية
٨١	منهج القرآن في الدعوة إلى توحيد الألوهية
٨٢	الثالث: توحيد الأسماء والصفات
٨٤	أدلة الأسماء والصفات
٨٧	القول في الصفات كالقول في الذات
٨٨	القول في بعض الصفات كالقول في بعض
٩٤	منهج دراسة الأسماء والصفات وآثاره
٩٥	المطلب الثاني: الإيمان بالملائكة
١٠١	المطلب الثالث: الإيمان بالكتب
١٠٦	المطلب الرابع: الإيمان بالرسل

١١٢	المطلب الخامس: الإيمان باليوم الآخر
١١٦	المطلب السادس: الإيمان بالقدر
١١٩	المبحث الثالث: خصائص العقيدة الإسلامية
١٢٠	المطلب الأول : التوقيفية الربانية
١٢٣	المطلب الثاني: الغيبة
١٢٧	المطلب الثالث: الشمول
١٣٠	المطلب الرابع: التكامل أو الترابط
١٣٣	المطلب الخامس: التوازن
١٣٩	الخاتمة
١٤٣	أهم المصادر والمراجع



من هذه السلسلة



صدر من هذه السلسلة

- ١- تأملات في سورة الفاتحة د. حسن باجودة
- ٢- الجهاد في الإسلام مراتبه ومطالبه أ. أحمد محمد جمال
- ٣- الرسول في كتابات المستشرقين أ. نذير حمدان
- ٤- الإسلام الفاتح د. حسين مؤنس
- ٥- وسائل مقاومة الغزو الفكري د. حسان محمد حسان
- ٦- السيرة النبوية في القرآن د. عبد الصبور مرزوق
- ٧- التخطيط للدعوة الإسلامية د. علي محمد جريشة
- ٨- صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية د. أحمد السيد دراج
- ٩- التوعية الشاملة في الحج أ. عبد الله بوقس
- ١٠- الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره د. عباس حسني محمد
- ١١- لمحات نفسية في القرآن الكريم د. عبد الحميد محمد الهاشمي
- ١٢- السنة في مواجهة الأباطيل أ. محمد طاهر حكيم
- ١٣- مولود على الفطرة أ. حسين أحمد حسون
- ١٤- دور المسجد في الإسلام أ. علي محمد مختار
- ١٥- تاريخ القرآن الكريم د. محمد سالم محيسن
- ١٦- البيئة الإدارية في الجاهلية وصدر الإسلام أ. محمد محمود فرغلي
- ١٧- القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته (١) د. محمد الصادق عفيفي
- ١٨- المرأة وحقوقها في الإسلام أ. أحمد محمد جمال
- ١٩- القراءات : أحكامها ومصدرها د. شعبان محمد اسماعيل
- ٢٠- المعاملات في الإسلام د. عبدالستار سعيد
- ٢١- الزكاة : فلسفتها وأحكامها د. علي محمد العماري
- ٢٢- حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم د. أبو اليزيد العجمي
- ٢٣- الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا أ. سيد عبد المجيد بكر
- ٢٤- الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر د. عدنان محمد وزان
- ٢٥- الإسلام والحركات الهدامة معالي عبد الحميد حمودة
- ٢٦- تربية النشء في ظل الإسلام د. محمود محمد عمارة
- ط١ (١٤٠٤هـ)، ط٢ (١٤٢١هـ).
- ٢٧- مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامي د. محمد شوقي الفنجرى
- ٢٨- وحي الله - حقائق وخصائص في الكتاب والسنة د. حسن ضياء الدين عتر
- ٢٩- حقوق الإنسان وواجباته في القرآن أ. حسن أحمد عبد الرحمن عابدين
- ٣٠- المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية أ. محمد عمر القصار
- ٣١- القرآن كتاب أحكمت آياته (٢) أ. أحمد محمد جمال

٣٢-	الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج	د. السيد رزق الطويل
٣٣-	الإعلام في المجتمع الإسلامي	أ. حامد عبدالواحد
٣٤-	الالتزام الديني منهج وسط	الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة
٣٥-	التربية النفسية في المنهج الإسلامي	د. حسن الشرقاوي
٣٦-	الإسلام والعلاقات الدولية	د. محمد الصادق عفيفي
٣٧-	العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية	اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
٣٨-	معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها	د. محمود محمد بابلي
٣٩-	النهج الحديث في مختصر علوم الحديث	د. علي محمد نصر
٤٠-	من التراث الاقتصادي (١)	د. رفعت العوضي
٤١-	أسس المفاهيم الاقتصادية في الإسلام	د. عبد العليم عبدالرحمن خضر
٤٢-	الأقليات المسلمة في أفريقيا	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٣-	الأقليات المسلمة في أوروبا	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٤-	الأقليات المسلمة في الأمريكتين والبحر الكاريبي	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٥-	الطريق إلى النصر	أ. محمد عبدالله فودة
٤٦-	الإسلام دعوة الحق	د. السيد رزق الطويل
٤٧-	الإسلام والنظر في آيات الله الكونية	د. محمد عبد الله الشرقاوي
٤٨-	دحض مفتريات ضد إعجاز القرآن ولغته	د. البدر اوي عبد الوهاب زهران
٤٩-	المجاهدون في فطاني	أ. ضياء شهاب
٥٠-	معجزة خلق الإنسان بين الطب والقرآن	د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٥١-	مفهوم القيادة في إطار العقيدة الإسلامية	د. سيد عبد الحميد مرسى
٥٢-	ما يختلف فيه الإسلام عن الفكر الغربي والماركسي	أ. أنور الجندي
٥٣-	الشورى سلوك والتزام	د. محمود محمد بابلي
٥٤-	الصبر في ضوء الكتاب والسنة	أ. أسماء عمر فدعق
٥٥-	مدخل إلى تحصين الأمة	د. أحمد محمد الخراط
٥٦-	القرآن كتاب أحكمت آياته (٣)	أ. أحمد محمد جمال
٥٧-	كيف تكون خطيباً	الشيخ عبد الرحمن خليف
٥٨-	الزواج بغير المسلمين ١ (١٤٠٦ هـ) ، ط ٢ (١٤٢١ هـ)	الشيخ حسن خالد
٥٩-	نظرات في قصص القرآن (١)	أ. محمد قطب عبدالعال
٦٠-	اللسان العربي والإسلام معاً في معركة المواجهة	د. السيد رزق الطويل
٦١-	بين علم آدم والعلم الحديث	أ. محمد شهاب الدين الندوي
٦٢-	المجتمع الإسلامي وحقوق الإنسان	د. محمد الصادق عفيفي
٦٣-	من التراث الاقتصادي للمسلمين (٢)	د. رفعت العوضي
٦٤-	تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد	الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة
٦٥-	لماذا وكيف أسلمت (١)	أ. أحمد سامي عبد الله

٦٦-	أصلح الأديان للإنسانية عقيدة وشريعة	أ. أحمد عبد الغفور عطار
٦٧-	العدل والتسامح الإسلامي	أ. السيد أحمد المخزنجي
٦٨-	القرآن كتاب أحكمت آياته (٤)	أ. أحمد محمد جمال
٦٩-	الحريات والحقوق في الإسلام	أ. محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
٧٠-	الإنسان الروح والعقل والنفس	د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٧١-	موقف الجمهوريين من السنة النبوية	د. شوقي بشير
٧٢-	الإسلام وغزو الفضاء	الشيخ محمد سويد
٧٣-	تأملات قرآنية	د. عصمة الدين كركر
٧٤-	الماوسونية سرطان الأمم	أ. أبو إسلام أحمد عبد الله
٧٥-	المرأة بين الجاهلية والإسلام	أ. سعد صادق محمد
٧٦-	استخلاف آدم عليه السلام	د. علي محمد نصر
٧٧-	نظرات في قصص القرآن (٢)	أ. محمد قطب عبد العال
٧٨-	لماذا وكيف أسلمت (٢)	أ. أحمد سامي عبد الله
٧٩-	كيف نُدرّس القرآن لأبنائنا	د. سراج محمد وزان
٨٠-	الدعوة والدعاة .. مسؤولية وتاريخ	الشيخ أبو الحسن الندوي
٨١-	كيف بدأ الخلق	أ. عيسى العرباوي
٨٢-	خطوات على طريق الدعوة	أ. أحمد محمد جمال
٨٣-	المرأة المسلمة بين نظرتين	أ. صالح محمد جمال
٨٤-	المبادئ الاجتماعية في الإسلام	أ. محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
٨٥-	التأمر الصهيوني الصليبي على الإسلام	د. عاصم حمدان علي
٨٦-	الحقوق المتقابلة بين الزوجين في الشريعة الإسلامية ..	د. عبد الله محمد سعيد
٨٧-	من حديث القرآن عن الإنسان	د. علي محمد حسن العماري
٨٨-	نور من القرآن في طريق الدعوة والدعاة	د. محمد الحسين أبوسم
٨٩-	أسلوب جديد في حرب الإسلام	أ. جهمان عايض الزهراني
٩٠-	القضاء في الإسلام	أ. سليمان محمد الحميضي
٩١-	دولة الباطل في فلسطين	الشيخ محمد سويد
٩٢-	المنظور الإسلامي لمشكلة الغذاء وتحديد النسل	د. حلمي عبد المنعم صابر
٩٣-	التجهير الصيني في تركستان الشرقية	أ. رحمة الله رحمتي
٩٤-	الفطرة وقيمة العمل في الإسلام	أ. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
٩٥-	أوصيكم بالشباب خيراً	أ. أحمد محمد جمال
٩٦-	المسلمون في دوائر النسيان	أ. أسماء أبو بكر محمد
٩٧-	من خصائص الإعلام الإسلامي	أ. محمد خير رمضان يوسف
٩٨-	الحرية الاقتصادية في الإسلام	د. محمود محمد بابلي
٩٩-	من جماليات التصوير في القرآن الكريم	أ. محمد قطب عبد العال
١٠٠-	مواقف من سيرة الرسول ﷺ	أ. الأمين الحاج محمد أحمد

أ. عبد الرحمن خليف	اللسان العربي بين الانتشار والانحسار	١٠١-
السيد هاشم عقيل عزوز	أخطار حول الإسلام	١٠٢-
د. عبد الله محمد سعيد	صلاة الجماعة دراسة فقهية مقارنة	١٠٣-
د. اسماعيل سالم عبدالعال	المستشرقون والقرآن	١٠٤-
أ. أنسور الجندي	مستقبل الإسلام بعد سقوط الشيوعية	١٠٥-
د. شوقي أحمد دنيا	الاقتصاد الإسلامي هو البديل الصالح	١٠٦-
د. عبد المجيد أحمد منصور	توجيه وارشاد الشباب المسلم نحو قضاء وقت الفراغ	١٠٧-
أ. السيد أحمد المخزنجي	في ظلال سيرة الرسول ﷺ	١٠٨-
د. ياسين الخطيب	المخدرات مضارها على الدين والدنيا	١٠٩-
أ. محمود محمد كمال عبد المطلب	أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	١١٠-
د. حياة محمد علي خفاجي	زينة المرأة بين الإباحة والتحریم	١١١-
د. سراج محمد وزان	التربية الإسلامية كيف نرغبها لأبنائنا	١١٢-
أ. عبد رب الرسول سيف	النموذج العصري للجهاد الإسلامي	١١٣-
أ. أحمد محمد جمال	المسلمون حديث ذو شجون	١١٤-
أ. نور الإسلام بن جعفر علي آل فايز	المسلمون في بورما .. التاريخ والتحديات	١١٥-
د. جابر المتولي قميحة	آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم	١١٦-
أ. أحمد بن محمد المهدي	اللباس في الإسلام	١١٧-
أ. ناصر عبد الله العمار	الترف وأثره في المجتمع من خلال القرآن الكريم	١١٨-
أ. محمد أبو الليث الخير آبادي	أسس النظام المالي والاقتصادي في القرآن	١١٩-
د. اسماعيل سالم عبدالعال	المستشرقون والقرآن (٢)	١٢٠-
د. محمد سويد	الإسلام هو الحل	١٢١-
أ. محمد قطب عبد العال	نظرات في قصص القرآن (٣)	١٢٢-
د. محمد بهي الدين سالم	من حصاد الفكر الإسلامي	١٢٣-
أ. ساري محمد الزهراني	خواطر إسلامية	١٢٤-
أ. اسماعيل عبد الفتاح عبدالكافي	الإسلام ومكافحة المخدرات	١٢٥-
أ. صالح أبو عراد الشهري	دروس تربوية نبوية	١٢٦-
د. عبد الحلیم عويس	الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل	١٢٧-
د. مصطفى عبد الواحد	من سيات الأدب الإسلامي	١٢٨-
أ. أحمد محمد جمال	خطوات على طريق الدعوة (١)	١٢٩-
أ. أحمد محمد جمال	خطوات على طريق الدعوة (٢)	١٣٠-
أ. عبد الباسط عز الدين	المسجد البابري قضية لا تنسى	١٣١-
د. سراج محمد وزان	التدريس في مدرسة النبوة	١٣٢-
أ. ابراهيم اسماعيل	الإعلام الإسلامي ووسائل الاتصال الحديثة	١٣٣-
د. حسن محمد باجودة	تسخير العلم والعمل لمجد الإسلام	١٣٤-
أ. أحمد أبو زيد	منهاج الداعية	١٣٥-

الشيخ. محمد بن ناصر العبودي	١٣٦-	في جنوب الصين
د. شوقي أحمد دينا	١٣٧-	التنمية والبيئة دراسة مقارنة
د. محمود محمد بابلي	١٣٨-	الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل
أ. أنور الجندي	١٣٩-	سقوط الأيديولوجيات وكيف يملأ الإسلام الفراغ
أ. محمود الشرقاوي	١٤٠-	الطفل في الإسلام
أ. فتحي بن عبد الفضيل بن علي	١٤١-	التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها
د. حياة محمد علي خفاجي	١٤٢-	لمحات من الطب الإسلامي
د. السيد محمد يونس	١٤٣-	الإسلام والمسلمون في ألبانيا
مجموعة من الأساتذة الكُتّاب	١٤٤-	أحمد محمد جمال (رحمه الله)
أ. أحمد أبو زيد	١٤٥-	المهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية
د. حامد أحمد الرفاعي	١٤٦-	الإسلام والنظام العالمي الجديد
أ. محمد قطب عبدالعال	١٤٧-	من جماليات التصوير في القرآن الكريم
أ. زيد بن محمد الرماني	١٤٨-	الواقع الاستهلاكي للعالم الإسلامي
أ. جهمان بن عايض الزهراني	١٤٩-	الماسونية والمرأة
أ. اسماعيل عبدالفتاح عبدالكافي	١٥٠-	جوانب من عظمة الإسلام
د. حسن محمد باجودة	١٥١-	الأسرة المسلمة في ضوء القرآن
د. أحمد موسى الشيشاني	١٥٢-	حرب القوقاز الأولى
أ. زيد بن محمد الرماني	١٥٣-	المفاهيم الاستهلاكية في ضوء القرآن والسنة النبوية
د. السيد محمد يونس	١٥٤-	المسلمون في جمهورية الشاشان
		وجهادهم في مقاومة الغزو الروسي
إعداد مجموعة من الباحثين	١٥٥-	القدس في ضمير العالم الإسلامي
إعداد مجموعة من الباحثين	١٥٦-	الطريق إلى الوحدة الإسلامية
د. جعفر عبدالسلام	١٥٧-	المركز القانوني الدولي لمدينة القدس
د. عبد الرحمن الخوراني	١٥٨-	الحوار النافع بين أصحاب الشرائع
أ. علي راضي أبو زريق	١٥٩-	الإنسان والبيئة
أ. محمود الشرقاوي	١٦٠-	الإسلام وأثره في الثقافة العالمية
أ. عبد الله أحمد خشيم	١٦١-	الموت .. ماذا أعدنا له ؟
د. محمود محمد بابلي	١٦٢-	زواج المسلمة بغير المسلم وحكمة تحريمه
أ. أنور الجندي	١٦٣-	عطاء الإسلام الحضاري
أ. عاطف أبو زيد سليمان علي	١٦٤-	إحياء الأراضي الموات في الإسلام
أ. محمد بن سليمان الأهدل	١٦٥-	أهمية يوم الجمعة وخطب مختارة
أ. خالد الأصـور	١٦٦-	البوسنة والهرسك .. حقائق وأرقام
أ. محمد بن ناصر العبودي	١٦٧-	المسلمون في لاوس وكمبوديا
أ. إبراهيم الدرعاوي	١٦٨-	المشكلات التربوية والدينية عند المسلمين
		في المجتمع الهولندي

١٦٩ -	مفاهيم يجب أن تُصحح	أ. بغداد سيدي محمد أمين
١٧٠ -	السنة النبوية المطهرة	الشيخ محمد علي الصابوني
١٧١ -	نحو مشروع حضاري للإسلام	د. أحمد القديدي
١٧٢ -	الإعلام الإسلامي رسالة وهدف	أ. سمير بن جميل راضي
١٧٣ -	الشريعة والتشريع	أ. فاطمة السيد علي سباك
١٧٤ -	ترجمات معاني القرآن الكريم	د. عبدالله عباس الندوي
١٧٥ -	خصائص النظام الاقتصادي في الإسلام	أ. زيد بن محمد الرماني
١٧٦ -	الرحمة المهداة محمد رسول الله ﷺ	د. نزار بن عبدالكريم بن سلطان الحمداني
١٧٧ -	المعاهدات الدولية في فقه الإمام محمد الشيباني	أ. عثمان بن جمعة ضميرية
١٧٨ -	التكامل وتقسيم العمل الإقليمي بين الأقطار الإسلامية	د. محمد إبراهيم منصور
١٧٩ -	شقائق الرجال وحل مسألة المرأة في المنهج الإسلامي	أ. حسني شيخ عثمان
١٨٠ -	في غرب الهند	أ. محمد بن ناصر العبودي
١٨١ -	في بلاغة الدعاء النبوي	د. عبد الرزاق محمد محمود فضل
١٨٢ -	الإعلام الغربي والمؤامرة على الإسلام في أفريقيا	د. عبدالعليم عبدالرحمن خضر
١٨٣ -	منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام	د. حلمي عبدالمنعم صابر
١٨٤ -	معالم من الفكر التربوي عند علماء المسلمين	أ. د/ أحمد محمد الخراط
١٨٥ -	أهل الحل والعقد صفاتهم ووظائفهم	د. عبدالله بن إبراهيم الطريقي حامد
١٨٦ -	التربية في عهد الرسول [نشأتها وتطورها]	سالم عايض الحري
١٨٧ -	الزكاة وتنمية المجتمع	السيد أحمد المخزنجي
١٨٨ -	بلاد التتار والبلغار	محمد بن ناصر العبودي
١٨٩ -	خطبة الجمعة	د. نزار عبدالكريم سلطان الحمداني
١٩٠ -	عداوة الشيطان للإنسان كما جاء في القرآن	د. عبدالعزيز بن صالح العبيد
١٩١ -	السفارة والسفراء في الإسلام	د. عثمان بن جمعة ضميرية
١٩٢ -	القدس الشريف حقائق التاريخ وآفاق المستقبل	أ. د. محمد علي حُلّة
١٩٣ -	أعمال الحاج بعد النفر من منى	د. ياسين بن ناصر الخطيب
١٩٤ -	التصريح بإثبات الأنجيل الأربعة	د. عبدالشكور بن محمد أمان العروسي
١٩٥ -	الاعتقاد الصحيح في المسيح تحليل مخاطر الاستشمار في المصارف الإسلامية بين النظرية والتطبيق	محمد نور علي عبدالله
١٩٦ -	المسيح عيسى بن مريم مصدق لما بين يديه في التوراة	د. عبدالله بن عبدالعزيز الشيعي
١٩٧ -	من معوقات الدعوة على ضوء الكتاب والسنة «ضعف الإيذان»	د. عبدالمهيمن عبدالسلام طحان
١٩٨ -	معالم العلاقات الإنسانية في الإسلام	د. أحمد عبدالرحيم السايح

- ١٩٩- لمحات في سورة الأحزاب أ. د. حسن بن محمد باجودة
- ٢٠٠- جوانب التعارض بين عنصر الأئمة في المرأة د. عدنان بن حسن باحارث
- ٢٠١- منهج القرآن الكريم في إثبات عقيدة د. منظور بن محمد رمضان
البعث بعد الموت «تفسير موضوعي».
- ٢٠٢- تفسير القرآن الكريم مصادره واتجاهاته د. عبدالله بن الزبير بن عبدالرحمن
- ٢٠٣- الإسلام وعولمة الرأسمالية. د. عبدالحفيظ بن عبدالرحيم محجوب
- ٢٠٤- قصة أصحاب الخنة وقيمة النية في الشريعة الإسلامية د. ياسين بن ناصر الخطيب
- ٢٠٥- دلالة الأسماء الحسنى على التنزيه د. عيسى بن عبدالله السعدي
- ٢٠٦- الولاء والبراء بين الغلو والجفاء (في ضوء الكتاب والسنة) د. الشريف حاتم بن عارف العوني
- ٢٠٧- المحو والإثبات في المقادير د. عيسى بن عبدالله السعدي
- ٢٠٨- الطريق إلى نجاة الأولاد د. عبدالله إبراهيم اللحيان
- ٢٠٩- الإسلام وتهمة الإرهاب د. حسن عزوزي
- ٢١٠- رؤى تربوية تطويرية لمنهج الدعوة الإسلامية د. حسن بن عايل أحمد يحيى
- د. مسعود بن محمد القحطاني
- ٢١١- البلد الحرام - فضائل وأحكام د. ضياء الدين محمد مطاوع
إعداد كلية الدعوة وأصول الدين -
جامعة أم القرى بمكة المكرمة
- ٢١٢- الوجود الإسلامي في أمريكا- الواقع والأمل د. عثمان أبوزيد عثمان
- ٢١٣- مقاصد الشريعة تأصيلاً وتفعيلاً د. محمد بكر إسماعيل حبيب
- ٢١٤- الصحة والصحابة رضوان الله عليهم «رسالة أ. د. أحمد علي الإمام
تأصيلية في تحقيق عدالة الصحابة وذكر فضائلهم»
- ٢١٥- آثار العولمة على عقيدة الشباب د. عبدالقادر بن محمد عطا صوفي
- ٢١٦- المزاح في الإسلام د. حسن عبدالغني أبوغدة
- ٢١٧- أصول المخالفين لأهل السنة في الإيمان د. عبدالله بن محمد القرني
- دراسة تحليلية نقدية -
- ٢١٨- دلائل الإسلام أ. د. أحمد بن سعد الحمدان
- ٢١٩- الخواف الإسلامي بين الحقيقة والتضليل د. عطية فتحى الويشي
- ٢٢٠- دلالة المثلثات على التوحيد د. عيسى بن عبدالله السعدي
- ٢٢١- الفتنة، معناها، والحكمة منها، في ضوء الكتاب والسنة. د. إبراهيم بن عبدالله الدويش
- ٢٢٢- المنهج التربوي النبوي في معالجة مواقف من أخطاء أ. أحمد بن إسماعيل كتبي
أفراد في المجتمع المدني من خلال كتاب (السيرة
النبوية) لابن هشام المتوفي عام ٢١٨هـ.
- ٢٢٣- مسائل العقيدة ودلائلها بين البرهنة د. السيد رزق الحجر
القرآنية والاستدلال الكلامي.

- ٢٢٤- الحضارة الإسلامية وسطيتهما أ. السيد أحمد المخزنجي وموقفها من الآخر.
- ٢٢٥- الشيخوخة وكيفية تعامل الإسلام مع متغيراتها د. عبدالله بن ناصر السدحان
- ٢٢٦- العلاقات الثقافية الفكرية بين العالمين الإسلامي د. مفرح بن سليمان بن عبدالله القوسي والعربي في العصر الحاضر - الحواجز والجسور - .
- ٢٢٧- التنصير في أفريقيا د. عبدالرزاق عبدالمجيد أالارو
- ٢٢٨- أثر الإيمان في بناء الحضارة الإنسانية د. أحمد معاذ علوان حقي
- ٢٢٩- التعريف بالإسلام باللغات الأجنبية د. حسن عزوزي
- ٢٣٠- فلسفة الحرية الدينية - نظرة عقدية د. لطف الله خوجة
- ٢٣١- البناء التربوي للمجتمع المسلم الفعال د. هاشم بن السيد علي الأهدل
- ٢٣٢- ميثاق الإيمان د. عيسى بن عبدالله السعدي
- ٢٣٣- مقدمة في مصطلحات الفقهاء عن د. محمد ظاهر أسدالله المكي الأحكام الشرعية وأئمة مذاهبهم الأربعة، أصولهم الاجتهادية ومدوناتهم الفقهية ومصطلحاتهم المذهبية.
- ٢٣٤- قضايا المسلمين في القصص الإسلامي المعاصر أ. يحيى حاج يحيى
- ٢٣٥- «نصر الله امرأة سمع مقالتي...» د. عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالمحسن التركي «دراسة عقدية»
- ٢٣٦- السعادة والحياة «رؤية تربوية لمفهوم السعادة أ. عبدالكريم بن عوض اللبيني وأسبابها في حياة المسلم المعاصر» السلمي
- ٢٣٧- الرفق في السنة د. حسن محمد عبده جي
- ٢٣٨- الدين المعاملة د. منقذ بن محمود السقار
- ٢٣٩- التجديد في عرض السيرة النبوية، مقاصده وضوابطه د. محمد يسري
- ٢٤٠- ضوابط تشغيل النساء د. عدنان حسن باحارث
- ٢٤١- الأثر التعليمي لفن الرجز د. حسن محمد حسن محجوب
- ٢٤٢- أخلاقيات العمل (ضرورة تنمية ومصلحة شرعية) د. سعيد بن ناصر الغامدي
- ٢٤٣- النزاعات الأهلية في أفريقيا قراءة في الموروث د. آدم بمبب السلمي الإسلامي.
- ٢٤٤- القراءة التجريبية للنصوص الشرعية د. سعد بن علي الشهراني وأثرها في افتراق المسلمين.
- ٢٤٥- المحكمات صمام أمن الأمة وأساس الثبات د. الشريف حاتم بن عارف العوني
- ٢٤٦- مواقف المستشرقين من دعوة الشيخ محمد بن د. عبدالله بن عمر الدميحي عبد الوهاب الإصلاحي



كتاب شهري محكَّم يصدر
عن الإدارة العامة للإعلام والثقافة
برابطة العالم الإسلامي

المشرف العام
أ.د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي

المدير العام للإعلام والثقافة
د. حسن بن علي الأهدل

مدير الثقافة والنشر
عبدالله بن علي النمري

مدير التحرير
د. موفق بن عبدالله العوض

الإخراج والتصميم الفني
حاتم مبارك حميدة

عنوان المراسلة

ص.ب: ٥٣٧ مكة المكرمة
الإدارة العامة للإعلام والثقافة

موقع الرابطة والبريد الإلكتروني:

www.themwl.org
dawatulhaqq@themwl.org

هذا الكتاب لايعبر بالضرورة عن رأي الرابطة

ضوابط النشر في سلسلة دعوة الحق

- ١- أن يقدم البحث خدمة للدعوة الإسلامية ويعالج جانباً من مستجدات الأمة وقضاياها.
- ٢- ألا يكون قد سبق نشره أو قدّم للنشر لأيّ جهة أخرى.
- ٣- أن يتصف البحث بالأصالة والابتكار والجدة والمنهجية العلمية وصحة اللغة وسلامة الأسلوب.
- ٤- أن يكون البحث موضوعياً لا يستهدف به تجريح الهيئات والشخصيات.
- ٥- ألا يقل البحث عن مائة وعشرين صفحة ولا يزيد على مائتي صفحة من صفحات السلسلة.
- ٦- يخضع البحث المقدم للتحكيم العلمي.
- ٧- أن يرفق المؤلف سيرته الذاتية وقائمة بأهم مؤلفاته.
- ٨- لا تعيد الرابطة البحث للمؤلف.
- ٩- يفضل أن يكون تنسيق البحث على النحو التالي:
(أ) مقاس الصفحات ٢١×١٤ سم.
(ب) الهوامش: أعلى، أسفل، يمين، يسار (٢) سم.
(ج) الخط لوتس لينوتيب أو مهند، حجم (١٦) عادي.
(د) العناوين الرئيسة حجم (٢٠) أسود.
(هـ) مع إرفاق البحث على قرص ممغنط (CD).
والله ولي التوفيق.



يمكن الاطلاع على ما صدر عن السلسلة من خلال
موقع الرابطة :

www.themwl.org

بريد المراسلة : dawatulhaq@themwl.org

هذا الكتاب

في هذا الكتاب نذكر أن أحكام الشريعة التي وردت في القرآن الكريم جاءت مرتبطة بالإيمان بالله واليوم الآخر، ومؤسّسة على التقوى وعلى العلم بصفات الله عز وجل، وأنّه عليّ حكيّم، وسميع بصير، وحكيّم خبير... الخ.

كما قامت على التذكير الدائم بعقّد الإيمان الذي يعقده الإنسان مع ربّه عزّ وجلّ، منذ أن يدخل الإسلام ويرضى بحكم ربه عزّ وجلّ. وهذا كله يشير إلى أهمية دراسة العقيدة الإسلامية والعناية بها والرجوع إلى مقرراتها وإلى المصدر الصحيح الموثوق المعصوم الذي لا تشوبه شائبة، وهو القرآن الكريم.

وتظهر هذه الأهمية أيضاً: من خلال معرفة آثارها في تكوين المجتمع المسلم النظيف الذي يخطو بخطوات سليمة متدرجة يقودها الوحي، ليقبّله مثلاً ومنازلاً للبشرية كلها، وذلك أن الإسلام يبدأ بإصلاح الفرد أولاً، حيث يغرس فيه الإيمان، ويربّي فيه الخلق والسلوك، ويهدّب النفس ويزكّيها، ثم ينطلق إلى دائرة أوسع هي دائرة البيت والأسرة، فيقيم دعائمها على أسس قويّة متينة من الدين والتقوى والمراقبة.

كما أن العقيدة تفسّر لهذا الإنسان أصل وجوده، وطبيعة تكوينه المتكامل روحاً وعقلاً وجسداً، ثم تعطيه المعرفة الصحيحة بالغاية والهدف من وجوده، وتحدّد مصيره في نهاية الرحلة، وتبين له طبيعة العلاقة بالله تعالى خالقه ومعبوده، وبالكون الذي يعيش فيه، وبالحياة والأحياء من حوله في هذا الوجود.

فكان لا بدّ من إعادة الأمر إلى نصابه بالعودة إلى المصادر الصحيحة الموثوقة، أعني القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، في دراسة أصل الدين وهو العقيدة والإيمان، وهو الفقه الأكبر على لسان فقهاءنا من السلف - رحمهم الله تعالى -.